روايات مصرية للجيب

رجل المستحيل

اتحاد القتلة

107

Looloo

د. نبيل فاروق

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
١٠ شارع كامل صدقي بالفجالة - القاهرة - ت ٥٩٠٨٤٥٥

رجل المستحيل

(أدهم صبرى) .. ضابط مخابرات مصرى، يرمز إليه بالرمز (ن-١) .. حرف (النون)، يعنى أنه فئة نادرة، أما الرقم (واحد) فيعنى أنه الأول من نوعه؛ هذا لأن (أدهم صبرى) رجل من نوع خاص.. فهو يجيد استخدام جميع أنواع الأسلحة، من المسدس إلى قاذفة القنابل.. وكل فنون القتال، من المصارعة وحتى التايكوندو.. هذا بالإضافة إلى إجادته التامة لستّ لغات حيّة، وبراعته الفائقة فى استخدام أدوات التنكّر و(المكياج)، وقيادة السيارات والطائرات، وحتى الغواصات، إلى جانب مهارات أخرى متعدّدة.

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات.. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل).

د. نبيل فاروق

١ - ألسنة اللهب ..

تعلّقت المصوِّرة المحترفة (أنجيل لوبان) بصخرة كبيرة بارزة ، وهى تتسلّق ذلك المرتفع الصخرى ، بالقرب من إحدى المدن المكسيكية ، حاملة حقيبة أدوات التصوير ، ولهثت فى شدة ، وهى تجلس على قمته ، مغمغمة :

- آه لو أن ناشرى رأى الجهد الذى أبذله ، فى سبيل التقاط تلك المشاهد الطبيعية ، التى سيضمّها كتابى القادم .. أراهن على أنه ماكان ليساومنى قط عندئذ ، من أجل بضع مئات من الدولارات ، أو نسبة ضئيلة من الأرباح .

تنهّدت فى عمق ، وهى تفتح الحقيبة ، وتلتقط منها آلة التصوير ، ثم تثبت بها عدسة من العدسات واسعة المدى ، ونهضت واقفة ، لتلتقط عددًا من الصور للمنطقة المحيطة ، قبل أن تهزّ رأسها ، قائلة فى انبهار واستمتاع :

- ياللجمال الطبيعة فى كل مكان !! .. على الرغم من أننى أعمل فى هذا المجال ، منذ أكثر من عشر

سنوات ، إلا أن الطبيعة المجرّدة مازالت تبهرنى فى كل مرة ، وخاصة لو ...

بترت عبارتها بغتة ، وانعقد حاجباها فى شدة ، وهى تتطلّع فى اهتمام إلى المشهد الذى نقلته إليها آلة التصوير ، قبل أن تخفضها عن عينيها ، متمتمة :

ـ عجبًا ! .. أمن الممكن هذا ؟ !

صمتت لحظة ، وهى تتطلّع إلى المكان بعينيها المجرّدة ، ثم انحنت تلتقط عدسة أخرى بعيدة المدى ، وتستبدلها بالعدسة الموجودة فى آلة التصوير ، التى رفعتها ثانية إلى عينيها ، ودارت بها بحثًا عن ذلك الشىء الذى لمحته ، ثم هتفت فجأة :

ـ آه .. ها هوذا .

قالتها ، وفيض من الدهشة يملأ أعماقها ، وهى تتطلع عبر العدسة بعيدة المدى ، إلى شىء بدا لها أشبه بقصر منيف ، يختفى وسط الصخور المحيطة به ، وينزوى داخل تجويف طبيعى ، فى قلب الجبل الضخم خلفه ، بحيث لا يمكن رؤية أى جزء منه ، إلا من الزاوية التى تقف هى فيها بالتحديد ..

وعلى الرغم من دهشتها البالغة ، راحت (أنجيل) تلتقط الصور فى تتابع لذلك الجزء الذى تراه من القصر ، قبل أن تخفض آلة التصوير عن عينيها ، متمتمة :

ـ ترى من ينفق كل هذه النقود ، ليشيّد قصرًا كهذا ، فى قلب الصحراء ؟ ! .. ولماذا ؟

لم تكد تلقى سؤاليها ، حتى تناهى إلى مسامعها بغتة هدير مروحة هليوكوبتر تقترب ، فانعقد حاجباها فى شدة ، وهى تقول لنفسها :

ـ أمن الممكن أن تكون هذه الهليوكوبتر ....

لم تكن قد أتمت تساؤلها ، عندما برزت الهليوكوبتر أمامها فجأة ، وبداخلها رجلان ، يقودها أحدهما ، فى حين يحمل الآخر مدفعًا آليًا ، بدا واضحًا عبر واجهتها الزجاجية نصف المستديرة ..

وعلى الرغم من أنها لم ترتكب جرمًا ، من الناحية القانونية ، بالتقاط بعض الصور لقصر وسط الجبال ، إلا أن شيئًا ما فى أعماق (أنجيل) ، جعل جسدها كله ينتفض فى عنف ، مع ظهور الهليوكوبتر ، وجعلها تتراجع فى حركة حادة مذعورة ، فارتطمت بصخرة كبيرة ، وتعثّرت ، فسقطت على ظهرها ، وأفلتت منها آلة التصوير ، فى نفس اللحظة التى أدنى فيها حامل المدفع الآلى جهاز اللاسلكى من فمه ، وقال فى لهجة جافة خشنة :

ـ توجد امرأة هنا ، على قمة التل .. ما الذى أفعله بشأنها ؟

أتاه صوت رئيسه صارمًا حازمًا ، وهو يقول :

ـ أنت تعرف ما ينبغى فعله .

مطَّ حامل المدفع الآلى شفتيه ، مغمغمًا :

ـ بالتأكيد .

وأنهى الاتصال ، وهو يميل بفوهة المدفع ، مستطردًا :

ـ هذا يسعدنى .

رأت (أنجيل) المدفع الآلى مصوبًا إليها ، فاتسعت عيناها فى رعب هائل ، وقفزت واقفة على قدميها ، وتركت حقيبتها وأدواتها خلفها ، وهى تعدو بكل ذعرها وقوتها ..

ومن خلفها ، انطلق المدفع الآلى ...

ومع سماعها لدوى الرصاصات، خلف قدميها مباشرة، تضاعف خوفها وذعرها ، وراحت تصرخ فى هلع :

ـ ولكن لماذا ؟ .. لماذا ؟ .. أنا لم أفعل شيئًا !!

ولكن الهليوكوبتر انقضت عليها فى شراسة ، وصوَّب الرجل المدفع الآلى إليها ثانية ، وهو يقول لزميله :

هذه الغبية تجهد نفسها دون طائل ؛ فرصاصاتى ستصيبها حتمًا .

قالها ، وهو يضغط زناد مدفعه ، ويطلق الرصاصات .. ويصيب هدفه ..

ومع اختراق الرصاصات لجسد (أنجيل) الضئيل انطلقت فى حلقها صرخة هائلة عنيفة ، واندفع جسدها فى قوة ، حتى تجاوز حافة التلّ وراح يهوى لثلاثة أمتار فى الفراغ ، قبل أن يرتطم بالصخور ، ويتدحرج فوقها ، ثم يستقر هامدًا ساكنًا أسفله ، فأعاد الرجل مدفعه الآلىّ إلى جواره ، قائلًا لزميله فى زهو :

ـ ألم أقل لك ؟

ثم التقط جهاز اللاسلكى ، ليقول لرئيسه فى القصر :

ـ تم القضاء على المتطفلة .. أرسلوا فريقًا لتنظيف المكان .

استقبل رئيسه هذا الخبر فى ارتياح ، وأسرع بنقله إلى السنيورا ، قائلًا فى حماس :

ـ انتهت المهمة ياسنيورا .

ولكنه فوجئ بها تجيب فى حدَّة وعصبية :

ـ فليكن .. لا تقلقنى بمثل هذه الأمور التافهة يا رجل .. لماذ تتقاضى مرتبك إذن ؟! .. تولَّ الأمر بنفسك لمرة واحدة على الأقل .

وأنهت الاتصال فى عنف ، أصاب الرجل بدهشة كبيرة ، وخاصة مع أوامرها المشدَّدة بضرورة عرض كل الأمور عليها شخصيًا .

وشاركته مساعدتها دهشته ، وهى تغمغم :

- قسوت على الرجل كثيرًا يا سنيورا .. إنه ينفذ أوامرك فحسب .

لوّحت السنيورا بيدها فى حدة ، قائلة :

- لا تتدخلى فيما لا يعنيك .

لاذت المساعدة بالصمت المشوب بالقلق والتوتر ، واكتفت بمراقبة رئيستها ، وهى تشعل واحدة من سجائرها الطويلة فى عصبية ، وتنفث دخانها فى توتر ، وهى تتطلع إلى الهاتف الخاص ، قبل أن تقول فى حدّة :

- لماذا لم يتصل (توماس) اللعين حتى الآن ؟!

لم تكد المساعدة تسمع العبارة ، حتى أدركت على الفور سرّ توتر رئيستها الشديد ، وعصبيتها المفرطة ، طوال الساعات الثلاث السابقة ..

لقد تابعت هذا الموقف منذ بدايته ..

منذ استدعت السينورا القاتل المحترف (توماس كلارك) ، زعيم اتحاد القتلة ، لتسند إليه مهمة التخلص من خصمها اللدود (أدهم صبرى) ..

وفى سبيل تحقيق هذا الهدف ، كان من المحتم العثورعلى وسيلة ، لإبقاء (أدهم) فى (نيويورك) لفترة كافية ، حتى يستعد اتحاد القتلة لتنفيذ المهمة ..

وأرسلت السنيورا فريقًا من الرجال ، لاختطاف

السفير المصرى فى (واشنطن) ، على نحو استفزّ السلطات المصرية ، فأسندت مهمة البحث عنه واستعادته إلى (أدهم) وزميلته الجديدة (جيهان) ، اللذين انطلقا بلا تردّد لتنفيذ المهمة ، على الرغم من كل ما اعترضهما من عقبات ..

وتوصّل (أدهم) إلى وجود عميل لمنظمة (الأفعى) فى صفوف القوات الجوية الأمريكية ، وهاجمه فى منزله ، ولكن رجال السنيورا اغتالوا ذلك العميل ، الجنرال (رالف أيدن) ، قبل أن يفصح عما لديه بالتحديد ..

ولم يوقف هذا (أدهم) و (جيهان) ..

لقد واصلا بحثهما ، مقتحمين مركز تدريب الطائرات الهليوكوبتر ، حتى توصّلا إلى معرفة اسم الطيار (مايكل فريمان) ، الذى هرب بالمختطفين خارج واشنطن ..

وتتابعت الأحداث على نحو رهيب ، وبإيقاع بالغ السرعة والتوتر ، وخاصة عندما وصل الجنرال (جيمى تورنسول)(*) ، وأطلق رجاله بدوره خلف (أدهم) .

(*) راجع قصة (عقارب الساعة) .. المغامرة رقم ١٠٥ .

وعند المستشفى المركزى فى (نيويورك) ، حيث ترقد (منى) فى غيبوبتها العميقة ، دار القتال واحتدم ، بين (أدهـم) و (جيهـان) ، ورجـال (تورنسـول) وفريق المباحث الفيدراليـة ، بقيـادة المفتـش (ديـن هاتكس) ..

وانتهى الأمر باستسلام (أدهم) وحده ، فى محاولـة منه لإنقاذ (قدرى) و (منى) ..

وبعد تعرّضـه لمحاولـة اغتيـال غـادرة ، تم نقـل (أدهم) إلى السـجن المركـزى فى (نيوريورك) ، فى نفس الوقت الذى تعرّضت فيه (منى) للاختطاف ، على يد أشخاص مجهولين ، على الرغم من محاولة (جيهان) المستميتة ، لمنع حدوث هذا ..

ولـم يدر (أدهم) بأمر اختطـاف زميلته السـابقة ، وهو يرقد على فراش صغير ، داخل زنزانته المنفردة ، فى السجن المركزى ، واتحاد القتلة بقيادة (توماس كلارك) يسعى للتخلص منه ..

ومن أجل هذا الغرض ، فوجئ (أدهم) بزنجى ضخم يقف خارج زنزانته ، ويبلغه تحيات السنيورا ، قبل أن يلقى زجاجة بنزين فى منتصـف الزنزانـة ، ويشـعل قدّاحته ، ويقذفها نحو السائل المتطاير ، و ...

واشتعلت النيران(*) .

* * *

« البوّابة مفتوحة يا سيادة المفتش .. »

انتزعت العبـارة مفتش المبـاحث الفيدرالـى (ديـن هاتكس) من شروده ، وهو يقف أمام البوّابـة الداخلية لسجن (نيويورك) المركزى ، فرفع عينيه إلى الحـارس الذى يرافقه ، وغمغم فى شىء من الدهشة :

ـ حقًا ؟!

تطلّع إليه الحارس لحظة فـى حيرة ، قبل أن يبتسم قائلاً :

ـ معذرة ياسيادة المفتش ، لم أقصد اقتحام أفكـارك ، ولكن البوّابة مفتوحة منذ أكثر من دقيقتين ، وأنت تقف أمامها شاردًا ، وهذه هى المرة الأولى ، منذ تسلمت عملى هنـا ، فـى أوائـل الثمانينات ، التى أرى فيهـا شـخصًا يرفض مغادرة السجن .. قالها ، وانطلق يقهقه ضاحكًا ، وكأنمـا راقـت لـه دعابتـه ، فـى حيـن ظـلّ المفتـش (هاتكس) يتطلّع إليه فـى صمت ، وبلا أيـة انفعـالات تقريبًا ، مما جعله يتوقف فى حرج ، ويتنحنح قائلاً :

ـ حسن .. هل تنوى الخروج أم لا ؟

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزء الأوّل (الأفعى) .. المغامرة رقم ١٠٦

تنهَّد المفتش فى عمق ، قبل أن يجيب فى اقتضاب :

ـ بالتأكيد .

كان ذهنه شاردًا بالفعل ، وهو يفكِّر فى كل ما سمعه عن (أدهم) ..

أمن الممكن حقًّا أن يكون الجنرال (أيدن) والطيار (فريمان) جزءًا من مؤامرة كبرى ، ترتبط بشكل مباشر باختطاف السفير المصرى ؟!

وأى نوع من المؤامرات هى ؟!..

هل تستهدف نظام الحكم ، أم قيادات الجيش أم ماذا ؟!

ولماذا اختطاف السفير المصرى بالتحديد ؟!

عربدت عشرات الأسئلة فى رأسه ، فى تلك اللحظة التى خطا فيها بقدمه اليمنى عبر البوّابة الداخلية ، و ..

وفجأة ، انطلقت فى المكان صفارات إنذار قوية ، وهتف حارس البوّابة فى توتر شديد :

ـ رباه ! .. ماذا حدث هذه المرة ؟

انتفض جسد (هاتكس) فى عنف ، واستدار بحركة حادة ، ليتطلّع إلى مبنى السجن ، فى حين تألّق مصباح صغير أعلى البوّابة ، والحارس يستطرد فى انفعال :

ـ اعبر البوّابة بسرعة أيها المفتش ؛ فعندما تنطلق أجهزة الإنذار ، يتم إغلاق البوّابات كلها إليكترونيًّا .. أسرع بالله عليك .

ولكن (هاتكس) لم يعبر البوّابة ..

لقد صرخ شىء ما فى أعماقه بأن (أدهم صبرى) وراء هذا الأمر ..

وأنه المسئول الأوّل عن انطلاق صفارات الإنذار فى المكان ، بعد وصوله إليه بأقل من ساعة واحدة..

لذا فقد تراجع المفتش الفيدرالى بحركة حادة ، وترك البوّابة تُغلق أمامه ، وحارسها يهتف فى انزعاج :

ـ ماذا فعلت أيها التعس ؟!.. لن تُفتح البوّابات قط ، قبل حسم الموقف تمامًا .

لم يلق إليه المفتش بالاً ، وهو يعدو عائدًا إلى مبنى السجن ، وانفعالاته كلها تهتف فى أعماقه :

ـ رباه ! .. ماذا حدث هناك ؟... ماذا ؟!

ولكنه لم يكد يبلغ بوّابة المبنى ، حتى وجدها مغلقة فى وجهه ، والحارس من خلفه يواصل :

ـ فى المرة الأخيرة ، لم يتم حسم الموقف قبل أربعين ساعة كاملة .

صاح (هاتكس) فى الحارس الآخر ، داخل المبنى :

ـ ألا يمكنك فتح هذه البوّابة اللعينة ؟

هزّ الحارس رأسه نفيًا فى أسف ، مجيبًا :

ـ لست أدرى حتى كيف يتمّ هذا .

اتسعت عينا (هانكس) فى هلع ، وتراجع خطوتين ، وهو يرفع رأسه ليتطلّع إلـى شبابيك المبنـى ، ذات القضبان الفولاذية السميكة ، ويكرّر .

ـ ولكن ماذا حدث ؟!.. ماذا حدث ؟!

ولكنه لم يتلق جوابًا لسؤاله فى ذلك الحين .. قط .

* * *

تألقت عينا القاتل المحترف (تشارلز دار) على نحو عجيب ، وكادت أصابعه تعتصر مقبض مسدسه ، وهو يقول فى حماس :

ـ يبدو أن رجالنا قد نجحوا فى مهمتهم يا (توم) .

أدار (توماس كلارك) عينيه إليه فى لهفة ، قائلًا :

ـ حقًا ؟ ! .. هل أبلغك (جاكسون) بأمر ما ؟

أومأ (تشارلز) برأسه إيجابًا ، فى بطء مثير ، قبل أن يجيب :

ـ نعم .. صفارات الإنذار انطلقت فى السجن المركزى .

انتقل التألّق إلى عين (توماس) ، وهو يهتف :

ـ صفارات الإنذار ؟ ! .. هذا يعنى بالفعل أن ..

بتر عبارته بغتة ، وانعقد حاجباه ، وتراجع تألّقه ، وهو يستدرك :

ـ ولكن أليس من المحتمل أن الصفارات قد انطلقت لأمر آخر ؟

قال (تشارلز) فى دهشة :

ـ أى أمر ؟

بدا الشكّ على ملامحه ، وهو يجيب فى تردُّد :

ـ ألم تقرأ مثلى ملف ذلك الرجل ؟!.. ألم تقرأ كيف نجا من الموت عشرات المرات ، بعد أن تصوّر الجميع أنه ميت لا محالة ؟.. هل نسيت كيف امتلأت نفوسنا بالدهشة والانبهار ، من الوسائل التى استخدمها لينجو ؟.. كلاّ يا رجل ، لا ينبغى أن نقتنع بنجاح العملية ، قبل أن نتيقّن من مصرعه بالفعل .

زفر (تشارلز) فى توتر ، قبل أن يقلب كفيه ، قائلًا :

ـ فليكن .. إنك لا تطلب المستحيل .. سأجرى اتصالًا برجلنا فى السجن المركزى ، وأسأله عما أصاب الرجل هناك .

أومأ (توماس) برأسه موافقًا ، وهو يغمغم فى توتر ملحوظ :

ـ نعم .. هذا أفضل .

التقط (تشارلز) سمّاعة الهاتف ، وهمّ بضغط أزراره ، عندما لاحظ ذلك التعبير العجيب ، على وجه (توماس) ، فسأله فى دهشة :

ـ ماذا بك ؟ !

تطلّع إليه (توماس) لحظة فى صمت ، قبل أن يمطّ شفتيه ، ويهزّ كتفيه ، مجيبًا :

ـ لست أدرى .. الموقف كله يبدو لى عجيبًا ، وهناك شىء ما ، لا يمكننى هضمه جيدًا .

بدت الحيرة على وجه (تشارلز) ، وهو يقول :

ـ شىء مثل ماذا ؟

تنهّد ، وهزّ رأسه ، قبل أن يجيب :

ـ لا يمكننى أن أستوعب فى سهولة ، أن الرجل الذى دوّخ أعظم أجهزة المخابرات فى العالم ، يمكن أن يموت بهذه السهولة !

ابتسم (تشارلز) فى سخرية ، قائلاً :

ـ لكل جواد كبوة .

صمت (توماس) لحظة أخرى ، قبل أن يتمتم :

ـ هذا صحيح .

لم تكن كلماته تحمل ذرة واحدة من الثقة ، حتى أن (تشارلز) ظلّ يتطلع إليه فى دهشة لدقيقة كاملة ، وهو يسأل نفسه عما أصاب ذلك المحترف ، الذى استطاع تكوين أوّل اتحاد للقتلة المحترفين فى العالم ، ثم لم يلبث أن قال فى حزم :

ـ فليكن .. الأمر يمكن حسمه بمحادثة واحدة .

وضغطت سبّابته أزرار الهاتف فى سرعة ، والتقى حاجباه فى جدية واهتمام ، وهو يستمع إلى الرنين على الجانب الآخر ، قبل أن يسمع صوت محدثه ، فقال بسرعة وحزم :

ـ أنا (تشارلز) .. (تشارلز دار) .. ماذا حدث عندكم بالضبط ؟ ..

لماذا انطلقت صفارات الإنذار ؟

وازداد انعقاد حاجبيه ، وهو يستمع جيدًا ، قبل أن ترتسم على شفتيه ابتسامة منفعلة ، ويقول :

ـ عظيم .. عظيم .. هذا ما توقّعته ..

وأنهى المحادثة على الفور ، وهو يلتفت بابتسامته إلى (توماس) الذى سأله فى لهفة :

ـ لماذا انطلقت صفارات الإنذار ؟

اتسعت ابتسامة (تشارلز) ، وحملت قدرًا هائلاً من الثقة والظفر ، وهو يجيب فى حماس :

ـ بسبب حادث فريد من نوعه .. لقد اشتعلت النيران فى أحد المساجين ، والتهمته ألسنتها داخل الزنزانة حتى الموت .

وهنا تألّقت عينا (توماس) ببريق قوى ، كاد يضىء الحجرة كلها ..

فهذا الخبر يحسم الأمر بالفعل .. يحسمه تمامًا .

* * *

٢ - سم الأفعى ..

« ياللبشاعة !.. » .

غمغم مدير سجن (نيويورك) المركزى بالكلمة فى امتعاض وتوتر ، وهو يشيح بوجهه عن مشهد تلك الجثه المتفحمة ، وسط الزنزانة الانفرادية الصغيرة ، التى التهمت النيران محتوياتها المحدودة ، وزفر فى ضيق واضح ، قبل أن يسأل حارس المكان فى حدة :

ـ كيف حدث هذا ؟

ارتسم مزيج من الارتباك والتوتر على وجه الحارس ، وهو يجيب مضطربًا :

ـ لست أدرى ياسيادة المدير ... أقسم لك إننى لست أدرى .. يبدو أن .. قاطعه المدير غاضبًا :

ـ يبدو أن ماذا يا رجل ؟ ! .. ألست المسئول عن هذا الطابق بأكمله ؟!.. أليس من المفترض أن تُغلق الزنازين على الجميع ، فى الموعد المحدود ؟!.. كيف يمكن أن يحدث هذا إذن ؟! إنه إهمال .. إهمال بشع .

أتاه صوت يقول فى هدوء :

ـ أو تواطؤ .

التفت المدير إلى صاحب الصوت فى حركة حادة ، قائلا :

ـ ماذا تعنى بقولك هذا ؟.. هل تدرك طبيعة هذا الاتهام الخطير ؟

أجابه الرجل فى لهجة تحمل نبرة سخرية واضحة :

ـ بل أسأل نفسى .. كيف يمكن أن ينتقل شخص ما من زنزانة إلى أخرى ، دون أن يشعر به حارس الطابق ؟

انعقد حاجبا المدير فى شدة ، وهو يلتفت إلى الحارس ، قائلا :

ـ نعم .. كيف يمكن هذا ؟

شحب وجه الحارس ، واضطرب أكثر ، وهو يقول :

ـ الواقع ياسيادة المدير أن .... أن ...

قاطعه صاحب الصوت فى سخرية :

ـ الواقع أن مبلغ الرشوة كان يكفى لإغماض عينيك ، وتجاهل ما يحدث .. بل والمعاونة فى حدوثه أيضًا ، وإن لم تأت الرياح بما تشتهى .

ازداد شحوب وجه الحارس ، حتى كاد ينافس الجدران البيضاء ، وبدا اضطرابه وكأنه وثيقة إدانة لا يتطرّق إليها الشك ، فهتف المدير فى سخط :

- اللعنة ! .. هذا السجن يحتاج إلى إعادة تقييم ، وإلى تحقيقات واسعة النطاق ؛ لإعادة الأمور إلى نصابها فيه .

ثم التفت إلى ذلك الساخر ، مستطردًا فى حدة :

- أما أنت ، فسأجرى التحقيق معك بنفسى ، لأعلم كيف أمكنك أن تغادر زنزانتك ، ليلقى (هالك جونز) مصرعه حرقًا فيها .

ابتسم (أدهم صبرى) فى سخرية ، وهو يهزّ كتفيه ، قائلًا :

- ربما حدث هذا بوساطة (دافيد كوبر فيلد)(*)

صاح المدير فى غضب :

- كف عن سخريتك هذه .. إننى أستطيع اتهامك بالقتل العمد ، وهذا يكفى لإلقائك خلف القضبان مدى الحياة .

أشار (أدهم) بسبابته ، قائلاً :

(*) (دافيد كوبر فيلد) : ساحر أمريكى شهير ، أطلق عليه النقاد لقب (مبهر القرن العشرين) ، بسبب أعماله المدهشة ، التى عجز الخبراء عن تفسيرها حتى الآن ، فقد نجح فى الفرار من سجن (سنج سنج) الشهير ، وعبور سور الصين العظيم ، وإخفاء تمثال الحرية . .

- فى هذه الحالة سيكون عليك أن تشرح للجميع كيف غادرت زنزانتى ، وكيف غادر (هالك جونز) هذا زنزانته ، ثم ما الذى أتى بالنيران إلى زنزانتى ، والأهم هو أنه ما دام بمقدورى أن أفعل كل هذا ، فلماذا لم أشعل النيران فى الرجل فى زنزانته، ثم أعود إلى زنزانتى متظاهرًا بالبراءة ؟.. ولماذا تجشّمت كل هذا الجهد لإحضاره إلى زنزانتى ، وإشعال النيران فيه ؟!.. حاول أن تبحث عن الأجوبة ، لأننى سأثير العشرات من التساؤلات حتمًا ، عندما تتم محاكمتى .

احتقن وجهه المدير ، وعضّ شفته السفلى فى غيظ ، ثم سأل فى عصبية :

- فليكن .. اشرح أنت لى ما حدث ؟

هزّ (أدهم) رأسه نفيًا ، وهو يقول بابتسامة كبيرة :

- وأفسد متعة البحث ؟ !

صرخ المدير ثائرًا :

- فليخبرنى أحد إذن ماذا حدث هنا ؟ .. ماذا حدث أيها الملاعين ؟ .. ماذا حدث ؟

تردّد سؤاله فى المكان طويلًا ، دون أن يفتح سجين واحد شفتيه ، ليمنحه جوابًا شافيًا ..

أو بمعنى أدق ، دون أن يجرؤ واحد منهم على منحه الجواب ..

أى واحد ..

* * *

منذ اللحظة الأولى ، التى التقط فيها أنف (أدهم) رائحة البنزين ، التى انتشرت فى زنزانته ، أدرك على الفور ما يزمع الزنجى الضخم فعله ، فتعلقت عيناه بيد الرجل ، وهو يشعل قداحته ، ويقول بضحكة وحشية عالية :

ـ السنيورا ترسل إليك تحياتها .. تحياتها الأخيرة .

وهتف به :

ـ أيها الوغد الحقير .

ولكن الزنجى ألقى القداحة المشتعلة ، فوق بقعة البنزين الكبيرة فى منتصف الزنزانة المغلقة ، و ..

وتحرك (أدهم) بسرعة مدهشة كعادته ..

لقد وثب إلى الأمام بخفة نادرة ، والتقط القداحة المشتعلة بأصابعه ، قبل أن تسقط فوق البنزين ، واعتدل قائلا :

ـ معذرة أيها الوغد .. تحيات السنيورا لم تصل .

ثم ألقاها نحو (هالك جونز) ، مستطردا فى سخرية :

ـ لذا فهى ترد إلى المرسل .

تراجع الزنجى الضخم ، وهو يطلق شهقة دهشة قوية ، ولكن القداحة المشتعلة ارتطمت بصدره ، وسقطت على قميصه ..

واشتعلت النيران ..

اشتعلت فى واجهة قميصه ، فصرخ مذعورا ، وراح يضربها براحتيه فى قوة ، حتى انطفأت ، بعد أن التهمت جزءا من شعر صدره الغزير ، وألهبت باطن راحتيه وأطراف أصابعه ..

وفى غضب هائل ، هتف (جونز) :

ـ كيف تجرؤ ؟

انعقد حاجبا (أدهم) فى صرامة ، وهو يجيبه :

ـ فى المرة القادمة سأشعل النار فى أنفك الضخم أيها الدب الغبى .

اشتعلت نيران الغضب فى عينى (هالك جونز) ، وتأججت بأكثر مما فعلت النيران الحقيقية ، وهو يصرخ :

ـ إذن فقد جرؤت .. جرؤت على إهانة (جونز) .. (هالك جونز) ، الذى يهابه الجميع هنا .. لقد قضيت على نفسك يا رجل .. سأطحن كل عظمة من عظامك ،

قبل أن أشعل فيك النار .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وهو يقول :

ـ أراهن على أنه سيكون مشهدًا طريفًا للغاية .

احتقنت عينا الزنجى العملاق ، وثارت ثائرته ، غير مصدّق أن أحدًا يجرؤ على السخرية منه على هذا النحو السافر ، وهو الذى يرهب السجن كله بنظرة واحدة ، فصرخ فى حارس الطابق :

ـ افتح زنزانة هذا الصفيق يا (داون) .

اتسعت عينا الحارس ، وهو يقول مذعورًا :

ـ افتحها ؟! .. ولكن يا (جونز) ..

قاطعة العملاق صارخًا :

ـ قلت لك افتحها يا رجل .. إنك تتقاضى منى مبلغًا باهظًا ، لتطيع أوامرى .. أليس كذلك ؟

احتقن وجه الحارس ، وارتبك بشدة ، وهو يتلفّت حوله ، بعد أن فضح (جونز) أمره على الملأ هكذا ، وأسرع يضغط ذلك الزر ، الذى يفتح رتاج باب زنزانة (أدهم) ، من حجرة المراقبة ، قبل أن يبلغ صوت (جونز) الثائر مسامع المسئولين ، ويحدث مالا تحمد عقباه .

وما إن انفتح باب الزنزانة ، حتى ضمّ (هالك جونز)

قبضتيه ، واندفع نحو (أدهم) ، صارخًا :

ـ الآن ستدفع الثمن أيها المغرور .

كان حجمه يفوق حجم (أدهم) بمرة ونصف المرة على الأقل ، ولقد هوى على فك هذا الأخير بقبضته ، التى اعتاد التسلّى بتحطيم الأحجار بها ، فى ساحة السجن كل صباح ، إلا أن (أدهم) انحنى فى خفة ، وتفادى اللكمة ببساطة مدهشة ، فضربت قبضة (جونز) الهواء ، واختل توازنه ، فمال إلى الأمام ، لتستقبله لكمة كالقنبلة فى معدته ، مع صوت (أدهم) الساخر ، وهو يقول :

ـ إلى أين أيها الفيل الجامح ؟ !

شهق (جونز) ، وانثنى فى ألم ، من عنف اللكمة ، ولكن (أدهم) أجبره على الاعتدال ثانية ، مع لكمة ساحقة فى أنفه،ألقته خارج الزنزانة ، ليرتطم بالجدار المقابل لها فى عنف .

واحتبست أنفاس المساجين الآخرين ، الذين رأوا المشهد من زنازينهم ، وخفقت قلوبهم فى عنف ، مع تلك الصرخة الغاضبة الساخرة ، التى أطلقها (هالك جونز) ، وهو يهبّ واقفًا على قدميه ، وينقضّ مرة أخرى على (أدهم) ، وينتزعه من الأرض بيديه القويتين ، ثم

يواصل الاندفاع ، حتى يضرب به الجدار فى قوة .

وكانت الضربة قوية بالفعل ، حتى لقد صرخت كل عظمة فى ظهر (أدهم) ألمًا ، إلا أن رجل المخابرات المحترف قتل تلك الصرخة فى أعماقه ، ورفع ركبته فى قوة وسرعة ، ليضرب بها فك (جونز) ، فى نفس اللحظة التى هوى فيها بقبضتيه المضمومتين على رأسه .

وتلقى العملاق الضربة المزدوجة ، فارتطمت أسنانه بعضها بالبعض ، ودارت عيناه فى محجريهما ، وهو يتراجع مترنحًا ، فدفع (أدهم) قدميه إلى الخلف ، وضرب بهما الجدار فى قوة ، ليندفع مع جسد غريمه عبر باب الزنزانة إلى الخارج ، ثم هبط بهما فى سرعة مدهشة وثنى ركبتيه ، ليغوص بهما فى معدة (جونز) ، الذى أطلق خوارًا عجيبًا هذه المرة ، وإن لم يفلت جسد (أدهم) أبدًا ، وهو يصرخ :

ـ لقد جرؤت .. لقد جرؤت .

حدّق الجميع ذاهلين فى (أدهم) ، الذى أمسك كتفى العملاق فى قوة ، ثم دفع قدميه فى معدته ، وهو يقول :

ـ ألم تنتبه إلى هذا بعد ؟

قالها ، وجذب خصمه فى قوة ، فمال الاثنان معًا ،

بحيث سقط (أدهم) بظهره على الأرض ، ولكنه لم يكد يلمسها ، حتى فرد قدميه فى سرعة وقوة ، ودفع جسد العملاق فى الهواء ، ليلقيه خلفه فى عنف ..

وارتطم جسد (هالك جونز) بقضبان زنزانه (أدهم) وانطلقت منه صرخة ألم غاضبة عنيفة ، وهو ينهض هاتفًا :

ـ سأقتلك أيها الأسطورة .. سأسحقك سحقًا .

وحاول أن ينقضّ مرة أخرى على (أدهم) ، الذى وثب واقفًا على قدميه فى خفة ، وانحنى ليتفادى لكمة قوية ، وجهها إليه (جونز) ، ثم اعتدل فى مرونة وقوة ، وهوى بقبضته على فك هذا الأخير ، قائلًا :

ـ ألم تنتبه إلى أنك تتحدث كثيرًا أيها الوغد ؟

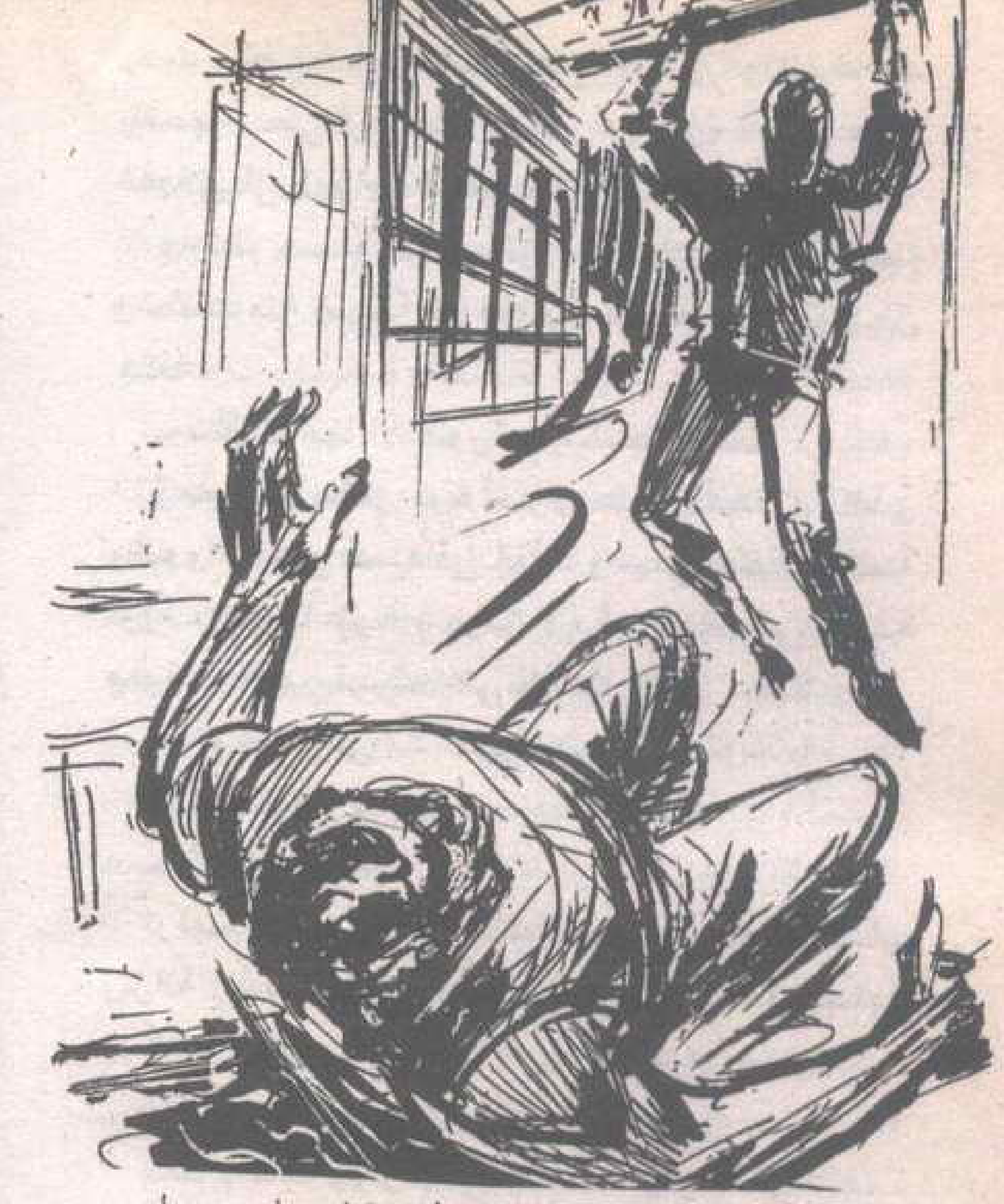
ثم كال له أخرى بيسراه ، مضيفًا :

ـ ثم لا تفعل شيئًا .

تراجع (جونز) مع اللكمتين ، حتى تجاوز باب زنزانة (أدهم) المفتوحة ، فوثب بطلنا يتعلّق بحاجز الزنزانة العلوى ، ويضرب غريمه بقدميه ، مستطردًا :

ـ أم أنك لا تستطيع أن تفعل شيئًا ؟

سقط (هالك جونز) فى منتصف الزنزانة فى عنف ، وسط بقعة البنزين الكبيرة ، فتناثر السائل الوردى فى



سقط (هالك جونز) فى منتصف الزنزانة فى عنف ، وسط بقعة البنزين الكبيرة ..

كل مكان وعادت رائحته تنتشر فى المكان ، ولكن الزنجى العملاق هبّ واقفًا ، وصرخ ، وقد بلغت ثورته أوجها :

ـ ستدفع الثمن .. ستدفعُ الثمن ..

قالها ، وهو يلوّح بقبضته فى غضب وعنف ، فارتطمت بالمصباح الكهربى ، فى سقف الزنزانة ، وتحطّم المصباح بدوى مكتوم ، وقفزت منه شرارة كهربية ..

والتقطت بقعة البنزين تلك الشرارة ، فى شراهة عجيبة ، و .....

واشتعلت النيران ..

وفى هذه المرة ، اشتعلت فى ذلك البنزين ، الذى غمر قميص (هالك جونز) أيضًا ..

وفى لحظة واحدة ، وربما أقل ، استحال الزنجى العملاق إلى كتلة من اللهب ، تنطلق منها صرخات ألم وذعر هائلة ..

وانتفضت أجساد الجميع ، مع ذلك التطوّر المفزع ، وصاح (أدهم) :

ـ يا إلهى !.. الرجل يشتعل .. أين أسطوانات الإطفاء ؟

ولكن الذعر الذى أصاب الحارس (داون) كان أضخم من أن يسمح لعقله وتفكيره بالعمل ، فى مثل هذه الظروف .

لقد استقرّ فى ذهنه أن هذا التطوّر سيؤدى إلى انكشاف أمره ، وتعريض مستقبله كله للخطر ، فاندفع يضغط زر إغلاق الزنزانة على نحو غريزى ، يفتقر إلى الحكمة وحسن التدبير ، ويده الأخرى تضغط زر صفارات الإنذار ..

وانطلقت صفارات الإنذار فى السجن كله ، وباب زنزانة (أدهم) يُغلق على (هالك جونز) ، وألسنة اللهب تلتهمه بلا هوادة ..

وبلا رحمة ..

ونسى (داون) أن (أدهم) مازال خارج الزنزانة ، وأن الموقف قد صار أكثر خطورة ..

أكثر بكثير ..

* * *

لم يكد رنين الهاتف يرتفع ، بالقرب من حوض السباحة ، فى قصر السنيورا ، حتى اختطفت يدها سماعته فى لهفة ، وقالت ، قبل أن تسمع حتى صوت محدثها :

- ما الأخبار ؟

وأشعلت سيجارتها فى عصبية ، عندما أتاها صوت (توماس) ، قائلا :

- إنه أنا يا سنيورا .. (توماس) .. لقد تلقينا تأكيدًا من السجن المركزى .. المهمة انتهت بنجاح .

خفق قلبها فى عنف ، حتى كاد يثب من صدرها ، واحتبست الكلمات فى صدرها بضع لحظات ، مع دخان سيجارتها ، ثم انطلقت تسعل فى عنف ، قبل أن تقول فى صوت شديد التوتر والاضطراب :

- حقًا ؟ :

لم تكد تنطقها ، حتى شعرت بالحنق من نفسها ، لأنها أظهرت انفعالها على هذا النحو ، فسعلت عمدًا مرة أخرى ، وقالت محتدة :

- ياللسيجارة اللعينة ! .. سأصرّ فى المستقبل على استخدام سجائرى الخاصة وحدها .

غمغم (توماس) :

- كل السجائر تفعل هذا بالصدور .

سألته متظاهرة بالرصانة :

- وكيف تمت المهمة ؟

أجابها فى ظفر وارتياح :

ـ رجلنا فى السجن أشعل فيه النيران داخل زنزانته ، فالتهمته حتى الموت .

أدهشه ذلك الصمت المطبق ، الذى استقبلت به عباراته ، فقال فى قلق :

ـ هل تسمعيننى يا سنيورا ؟

كانت تسمعه جيدًا ، ولكن شيئًا ما كان يعقد لسانها ويسدّ حلقها ، بعد سماعها التأكيد على مصرع (أدهم) .

لم يكن من السهل عليها أبدًا أن تتصوّر أن الصراع قد انتهى على هذا النحو .

ولا بهذه السرعة .

لم تكن تتخيّل أنه يمكن أن تأتى نهاية (أدهم صبرى) الأسطورى على هذا النحو .

أن يقضى نحبه محترقًا ، داخل زنزانة مغلقة ، كأى فأر حقير ..

لم تكن تتخيّل هذا أبدًا .

إنها حتى لم تكتف باستئجار قاتل محترف واحد ، أو إطلاق رجالها خلف (أدهم) ، أو حتى إثارة السلطات الأمريكية ضده ..

لقد تحرّكت فى كل المحاور فى آن واحد ..

واستأجرت فريقًا كاملًا من القتلة المحترفين ..

وعلى الرغم من هذا ، لم تتوقع أبدًا أن ينتهى الصراع هكذا ..

أبدًا ..

وطال صمتها وشرودها أكثر ، حتى أن مساعدتها نفسها تجرّأت على هزّ يدها قائلة :

ـ سنيورا .. أأنت مستيقظة ؟

انتفض جسدها فى عنف ، وهتفت بها محتدة ، وكأنها تفرغ فيها كل انفعالاتها :

ـ بالطبع .. ألا ترينني جالسة أمامك ؟!

سمع (توماس) هتافها ، فتنهّد فى ارتياح ، قائلًا :

ـ يسعدنى كثيرًا أن تعاوننا الأوّل كان مثمرًا ناجحًا يا سنيورا ، ومعذرة لو أننى سأذكّرك بمبلغ الـ ..

قاطعته شهقة عنيفة ، جعلته يبعد السمّاعة عن أذنه فى دهشة ، قبل أن تصرخ السنيورا عبرها :

ـ وتقول : إنك قد حصلت على تأكيد من السجن أيها الغبى ؟!

تضاعفت دهشته مع قولها ، فقال :

ـ بالطبع يا سنيورا .. لقد ..

قاطعته ثائرة :

ـ افتح (التليفزيون) إذن ، وألق نظرة على (السى .

إن . إن) أيها الأحمق ، وبعدها فكر وتأكد جيدًا ، قبل أن تبلغنى بأى أمر .. هل تفهم ؟

قالتها ، وأغلقت الهاتف فى وجهه بعنف . فاتسعت عيناه بدهشة بالغة ، وهو يحدق فى سماعة هاتفه ، ثم أعادها إلى موضعها بحركة حادة ، واندفع يشعل (التليفزيون) ، وهو يغمغم :

ـ ترى ما الذى تذيعه (السى . إن . إن) ، والذى أغضبها على هذا النحو ؟!

ولكنه لم يكد يلقى نظرة على تلك القناة الإخبارية الشهيرة ، حتى انعقد حاجباه فى شدة ، وتفجر فى أعماقه فيض من الدهشة والغضب والحنق والاستنكار ، فلقد كانت القناة تذيع محادثة هاتفية ، تمت بين كبير مذيعيها ، ومدير سجن (نيويورك) المركزى ..

محادثة تعلن اسم السجين ، الذى احترق داخل زنزانة مغلقة ..

اسم (هالك جونز) ..

ولثانية أو ثانيتين ، حدق (توماس) فى الشاشة فى ذهول ، قبل أن يصرخ فى ثورة :

ـ اللعنة .. اللعنة .. اللعنة ! .. (تشارلز) .. أين أنت يا (تشارلز) ؟

اندفع إليه زميله (تشارلز دار) ، هاتفا :

ـ ماذا حدث ؟

صرخ (توماس) :

ـ الهدف لم يلق مصرعه .. رجلنا هو الذى احترق داخل الزنزانة .

هتف (تشارلز) فى ذعر وانزعاج :

ـ (هالك) ؟ ! .. كيف حدث هذا ؟

أجابه (توماس) فى حدة :

ـ ليس المهم هو كيف حدث هذا .. المهم هو أن المهمة لم تنته بعد ، ومن العار أن يفشل اتحاد القتلة ، فيما يمكن أن ينجح فيه قاتل محترف واحد .. هذا الرجل ينبغى أن يموت يا (تشارلز) .. هل تفهم ؟! .. ينبغى أن يموت .

ثم انعقد حاجباه فى صرامة وغضب شديدين ، وهو يستطرد :

ـ وبأى ثمن .

وفى نفس اللحظة ، التى نطق فيها هذه العبارة ، كانت السنيورا تثب فى حوض السباحة الكبير ، وتغوص فى مياهه الباردة ، وتسبح فى أعماقه لحظات ، قبل أن تصعد إلى السطح ، وتلتقط نفسًا عميقًا من الهواء النقى ..

كانت تتمنى أن تطفئ المياه تلك النيران المستعرة فى أعماقها ، بعدما عرفت أن (أدهم) قد نجا من محاولة قتله فى السجن ..

ولكن هذا لم يحدث ..

لقد شعرت ، على الرغم من برودة المياه ، وكأنها تسبح وسط بركان ثائر ، يموج بالحمم والنيران والصخور الملتهبة ، التى طفت من مشاعرها إلى السطح ، وكادت تقتلها بلا رحمة .

وفى حنق ، غادرت حوض السباحة ، والتقطت منشفة عريضة ، راحت تجفف بها جسدها ، قبل أن تلقيه فوق مقعد عريض ، وتقول فى سخط :

ـ هؤلاء الأغبياء يتصوَّرون أنهم أبرع فريق للمحترفين ، ثم يفشلون فى القضاء على رجل واحد .

غمغمت مساعدتها فى حذر :

ـ ولكنه ليس مجرَّد رجل عادى .

انعقد حاجبا السنيورا فى غضب ، وهى تقول :

ـ ولو .. المهم أنه رجل واحد ، وسجين أيضًا .

ثم لوَّحت بذراعها ، مستطردة فى حدة :

ـ ماذا سيفعلون معه إذن ، لو خرج من السجن ، وقاتلهم فى العراء ؟!

تردَّدت المساعدة لحظة ، ثم قالت :

ـ ولكنك قلت أن تاريخه حافل بمحاولات الاغتيال ، التى نجا منها كلها ببراعة منقطعة النظير .

هتفت السنيورا :

ـ وبحظ مدهش يجعلنى أتصوَّر أن القدر نفسه يعمل إلى جانبه .

قالت المساعدة فى خفوت :

ـ ولكن من الواضح أنه بارع وذكى أيضًا .

لوَّحت السنيورا بسبَّابتها ، قائلة :

ـ لا يمكننى إنكار هذا ولكننى أستطيع فهم ما يرمى إليه .. لقد استسلم ليحمى صديقه ، والفتاة التى يحب والتى ترقد فاقدة الوعى منذ فترة ، فى المستشفى المركزى .

ثم استعادت ابتسامتها الساخرة ، وهى تضيف :

ـ ولكننى سأفسد خطته هذه .

سألتها المساعدة فى اهتمام :

ـ كيف ؟

هزَّت كتفيها ، وهى تشعل سيجارة أخرى ، قائلة بابتسامة غامضة خبيثة :

ـ سترين .

لم تكد تنطقها ، حتى ارتفع رنين الهاتف ، فالتقطت سمَّاعته بسرعة ، قائلة :

- من المتحدث ؟

أتاها صوت هادئ ، يقول فى ثقة :

- المهمة نجحت .. البضاعة لدينا ، وسنحتفظ بها حتى نتلقى أوامر أخرى .

برقت عينا السنيورا فى شدة ، وهى تقول :

- رائع .. تخلص من سيارة الإسعاف ، ومن كل أثر يمكن أن يقود إليكم .. هذه الفتاة هى أفضل ورقة حصلنا عليها حتى الآن .. استدع الدكتور (أرنولد) لرعايتها ، وأخبره أننى أريد المحافظة عليها فى حالة جيدة ، مهما كانت النفقات .. هل تفهم ؟

وأنهت المحادثة ، وقد استعادت كل مرحها وثقتها وتفاؤلها ، فسألتها مساعدتها فى لهفة :

- هل الفتاة هامة إلى هذا الحد بالفعل ؟

تطلعت إليها السنيورا لحظة قبل أن تقول :

- هذه الفتاة هى الشخص الوحيد ، فى العالم أجمع ، الذى لن يتردد (أدهم صبرى) فى أن يفتديه بحياته .. صدقينى .. عندما حصلنا عليها ، فكأنما حصلنا على نصف النصر .. بل على النصر كله .

قالتها ، وانطلقت من أعماقها ضحكة قوية مجلجلة .

ضحكة تحمل كل الثقة ..

وكل الظفر .

* * *

٢ - السجن ..

ران الصمت التام على حجرة المقابلات الخاصة ، فى سجن (نيويورك) المركزى ، ووقف المفتش (هانكس) جامدا كتمثال من الشمع ، يتطلع إلى (أدهم) ، الذى ارتسمت على شفتيه ابتسامة هادئة ، لاتخلو من لمحة ساخرة ، وهو يتطلع إليه بدوره ، قبل أن يقطع ذلك الصمت ، قائلا فى هدوء مستفز :

- هل سنقضى يومنا كله محدقين فى بعضنا أيها المفتش ؟

تنهد (هانكس) ، وهز رأسه نفيا ، وهو يقول :

- كلا بالتأكيد ، ولكننى أعترف بأن موقفك يدهشنى بحق .. ذلك الحادث يشير فى وضوح إلى أنك مستهدف داخل السجن ، وعلى الرغم من هذا ، فما زلت تبتسم فى هدوء وسخرية !!.. ألا تعنيك حياتك يا رجل ، أم أنك تعمدت الدخول إلى السجن ، للانتحار بأسلوب جديد ؟!

هز (أدهم) كتفيه ، وحافظ على ابتسامته ، قائلا :

- يمكنك أن تقول إننى اعتدت كونى مستهدفا من العديدين .

سأله (هانكس) بسرعة :

ـ مثل من ؟!

صمت (أدهم) لحظة ، ثم اتسعت ابتسامته ، وهو يجيب :

ـ بعض المنافسين .

سأل (هانكس) فى اهتمام حقيقى :

ـ أى نوع من المنافسين ؟ وفى أى مجال ؟!..

أجاب (أدهم) فى هدوء :

ـ المنافسون التقليديون ، فى مجال العمل .

هزّ (هانكس) رأسه ، وقال :

ـ آه .. من الطبيعى إذن أن يقودنا هذا إلى السؤال عن طبيعة هذا العمل .

تطلّع إليه (أدهم) لحظة ، قبل أن يسأله فى جدية :

ـ ما الذى تسعى إليه بالضبط أيها المفتش ؟

أجابه (هانكس) فى عصبية :

ـ إلى اعتراف بأنك رجل مخابرات مصرى .

استعاد (أدهم) ابتسامته الساخرة ، وهو يقول :

ـ وهل تعتقد أنه من المحتمل أن تحصل على اعتراف كهذا ؟

اندفع (هانكس) نحو المنضدة ، التى يجلس خلفها

(أدهم) ، وضرب سطحها بقبضته فى عنف ، صائحًا :

ـ أنا واثق من هذا .. واثق من أنك رجل مخابرات مصرى ، على الرغم من جواز السفر المكسيكى اللعين الذى تحمله ، باسم (أميجو صاندو) .

أجابه (أدهم) فى هدوء :

ـ ولكن جواز السفر رسمى وحقيقى أيها المفتش ، ولو أنك أجريت تحرياتك الرسمية ، فستتأكّد من أننى أحمل الجنسية المكسيكية ، وأننى كنت أحيا فى (كيواوا) لفترة ما(*) .

حدّق (هانكس) فى وجهه لحظة بغضب ، ثم تراجع فى حركة حادة ، لوّح بذراعه كلها ، وهو يقول :

ـ أتظن أننى لم أفعل ؟ ! .. إنه أوّل شىء فعلته ، بعدما ألقينا القبض عليك ، وعلى الرغم من النتائج الإيجابية ، التى حصلنا عليها ، إلا أننى واثق من أنك لست مكسيكيًا ، حتى ولو حملت ألف جواز مكسيكى رسمى .. لقد عملت فى بداية حياتى فى شرطة الحدود ، حيث يسعى مئات المكسيكيين للتسلّل إلى (أمريكا) يوميًا ، وأستطيع أن أزعم أننى أعرف المكسيكيين فور

(*) راجع قصة (جزيرة الجحيم) .. المغامرة رقم ٨٤ .

رؤيتهم .. بل ويمكننى أن أشمّ رائحتهم أيضًا ، من مسافة عدة أميال .

عاد الصمت يغلفهما لبضع لحظات . بعد أن انتهى (هانكس) من قوله ، وكل منهما يتطلّع إلى الآخر ، قبل أن يقول (أدهم) :

ـ لماذا عدت أيها المفتش ؟

زفر (هانكس) ، ولوّح بيده ، قائلا فى سخرية عصبية :

ـ كنت أحاول إنقاذك .. تصوّرت أن انطلاق صفارات الإنذار يعنى أنك تواجه خطرًا ما ، وحاولت إنقاذك .

سأله (أدهم) فى اهتمام واضح :

ـ لماذا ؟

صمت (هانكس) ، وارتسمت على وجهه أمارات الدهشة ، كما لو أنه بوغت بالسؤال ، ثم لم تلبث دهشته أن تحوّلت إلى شىء من الحيرة وهو يتطلّع إلى (أدهم) ، قبل أن يجيب فى صوت خافت :

ـ لست أدرى .. ربما لأننى اعتقدت أنك لا تستحق الموت فى مكان كهذا ، أو ..

بتر عبارته بغتة ، فسأله (أدهم) :

ـ أو ماذا ؟

رمقه (هانكس) بنظرة حادة ، قبل أن يجيب فى صرامة :

ـ أو أننى خشيت أن يضيع منى جزء كبير من الحقيقة بموتك .

ران عليهما الصمت بضع لحظات ، بعد عبارته هذه ، قبل أن يقول (أدهم) :

ـ هل تريد نصيحتى أيها المفتش ؟

اندفع (هانكس) ، قائلا فى حماس :

ـ بالتأكيد .

أشار (أدهم) بيده ، قائلا :

ـ لا تهدر وقتك فى التصارع معى .

بدت الدهشة على وجه المفتش الفيدرالى ، و (أدهم) يميل إلى الأمام ، مستطردًا فى حزم :

ـ دعنا نتعاون معًا ؛ للوصول إلى الحقيقة .

انعقد حاجبا (هانكس) ، ولوّح بيده كلها ، وهو يقول فى حدة :

ـ ومن الذى يرفض التعاون ؟.. هه .. من الذى يرفض الإفصاح بما لديه ، ويصر على البقاء داخل دائرة من الغموض والأسرار ؟

أجابه (أدهم) فى صرامة :

ـ التعاون لا يحتّم كشف الأوراق كلها ..

صاح (هانكس) :

ـ من وجهة نظرك وحدك .

كان من الممكن أن تحتدم المناقشة بينهما ، حول هذه النقطة ، لولا أن اقتحم أحدِ حرّاس السجن الحجرة ، فى هذه اللحظة ، قائلاً :

ـ هل حدث أمر ما يا سيادة المفتش ؟

زفر (هانكس) فى عصبية ، وهو يجيبه :

ـ كلاّ .. إنه مجرّد نقاش عادى .

نقل الحارس بصره بينهما لحظة ، ثم مال نحو (هانكس) ، قائلاً :

ـ على أية حال ، لدىّ ما أبلغك به ياسيادة المفتش .. إشارة عاجلة ، وردت الآن فقط .

وانحنى يهمس فى أذنه ببضع كلمات ، لم يكد (هانكس) يسمعها ، حتى اتسعت عيناه فى شدة ، وأطلّ الانفعال فى كل ذرة فى وجهه ، قبل أن يسأله فى اهتمام متوتر :

ـ ومتى حدث هذا !

اعتدل الحارس مجيبًا :

ـ منذ ما يقرب من ساعة واحدة .

انتقل قلقه وتوتره إلى (أدهم) ، الذى أيقن من نظرة (هانكس) إليه ، أن الأمر يتعلق به على نحو أو آخر ، فسأل مباشرة :

ـ ما الذى حدث أيها المفتش :

تطلّع إليه المفتش لحظة فى صمت ، وبدا وكأنه يتردّد فى الإفصاح بما لديه ، ثم لم يلبث أن حسم أمره فى سرعة ، وقال :

ـ لقد اختطفوا زميلتك .

سرت موجة عارمة من التوتر فى جسد (أدهم) ، وهو يهتف :

ـ (جيهان) ؟!

رمقه (هانكس) بنظرة اهتمام ، وهو يقول :

ـ لست أدرى ما إذا كان هذا هو اسمها الحقيقى أم ماذا ، ولكن تلك التى اختطفوها كانت تحمل لدينا اسم (منى توفيق) ، وترقد فاقدة الوعى منذ فترة ليست بالقصيرة ، فى المستشفى المركزى ، و ..

بتر عبارته بغتة ، وخفق قلبه فى عنف ، وهو يحدّق فى وجه (أدهم) ، الذى لم يكد يسمع ما أصاب (منى) ، حتى انعقد حاجباه فى شدة ، واكتسى وجهه كله بغضب هادر مكتسح ، وانقبضت كل عضلة من

عضلاته فى ثورة ، حتى خيل للمفتش أنه قد تحول بغته إلى قنبلة انتزع فتيلها ، وأوشكت على الانفجار ..

ولو أن عقل (هانكس) قد اكتسب ـ للحظة واحدة ـ هبة (التليباثى)(*) ، وأمكنه قراءة ما يدور فى رأس (أدهم) ، لاكتسى جسده كله بخوف بلا حدود ، ولانطلق يعدو حتى آخر عمره ، خوفًا من هذا الوحش الكاسر الجالس أمامه ..

فخبر اختطاف (منى) لم يغضب (أدهم) فحسب .

لقد فجّر فى أعماقه بركانا ثائرا ، سالت حممه فى عروقه ، واشتعلت بها عضلاته وأعصابه وإرادته الفولاذية ..

بركان أطلق فيض الطاقة من عقاله ..

طاقة بلا حدود ..

طاقة الرجل ..

رجل المستحيل ..

* * *

(*) التليباثى : مصطلح يعنى القدرة على قراءة الأفكار ، والتخاطر عن بعد ، وهى مقدرة خاصة ، يتمتع بها عدد محدود من البشر ، وإن أكد العلماء وجودها فى كل المخلوقات الحية بدرجات متفاوتة

« مستحيل ! .. مستحيل ! .. قلت لك : لن أغادر هذا المكان قط ، قبل أن تستعيدوا (منى) .. »

صرخ (قدرى) بالعبارة فى إصرار عنيف ، فى وجه (ناشد) ، مندوب المخابرات العامة فى (نيويورك) ، وترقرقت عيناه بالدموع ، وهو يستطرد فى مرارة :

ـ ماذا سيقول (أدهم) ، لو علم أننى تخليت عنها ، وآثرت سلامتى ، وعدت وحدى إلى (مصر) ؟

قال (ناشد) فى توتر :

ـ بل ماذا سيقول ، لو عرف أنك أهدرت تضحيته بلا مقابل ، وأصررت على أن تضع أمامه العراقيل نفسها ، التى فعل كل ما فعل ليتجنبها ؟!

انهمرت دموع (قدرى) كالسيل ، وهو يقول :

ـ ولكنها (منى) .. (منى) .. هل تفهم ما تعنيه هذه الفتاة بالنسبة له ولى ؟!..

أجابه (ناشد) فى حزم :

ـ بل كلنا نعرف ما تعنيه لك (منى توفيق) كصديقة وزميلة ، وكلنا نعرف أيضًا ما تعنيه بالنسبة لـ (أدهم صبرى) ، وليست لدينا ذرة واحدة من الشك ، فى أن معرفته بالخبر ستثير غضبه إلى أقصى حد ..

وتنهد فى عمق ، قبل أن يضيف :

ـ وأنت تعرف ما يمكن أن يفعله رجل مثله ، عندما يشتعل غضبه ، فهل تحب أن تفسد عمله عندئذ ..

أغرقت الدموع وجه (قدرى) المكتظ ، وهو يقول :

ـ ولكننى لا أستطيع أن ..

قاطعه صوت أنثوى حازم :

ـ ستعود إلى (مصر) ياقدرى .. الآن .

التفت الاثنان فى حركة واحدة إلى (جيهان) ، التى وقفت بالباب ، فى زى الممرضة السمراء ، وهتف (قدرى) فى حدة :

ـ وما شأنك أنت بالأمر ؟!.. من أعطاك حق إصدار الأوامر ؟!.. المفترض أن تذوبى خجلاً ، بعد فشلك فى منعهم من اختطاف (منى) .

اعتصرت عبارته قلبها فى قسوة ، ومزقت مشاعرها بلا رحمة ، حتى كادت تنفجر باكية ، لولا أن استنفرت كل إرادتها لتتماسك ، ولتضفى شيئًا من الحزم على صوتها ، وهى تقول :

ـ أهذا رأيك فىّ ؟!

حملت كلماتها شيئًا من المرارة ، التى حاولت إخفاءها ، فانعقد حاجبا (ناشد) فى ضيق ، فى حين احتقن وجه (قدرى) وهو يقول مرتبكًا :

ـ آه .. لم أقصد هذا بالضبط ، ولكن .. أعنى أن ..

اضطرب خجلاً ، فلم يستطع إتمام عبارته ، واندفع يقول بدلاً من هذا :

ـ ولكننى لن أعود إلى (مصر) أبدًا ، قبل حسم الموقف .

زفر (ناشد) مرة أخرى فى حدة ، وقال :

ـ استاذ (قدرى) .. اسمح لى أن ...

قاطعته (جيهان) بإشارة من يدها ، قائلة :

ـ انتظر يا (ناشد) .

ثم اتجهت نحو (قدرى) ، وتطلعت إلى عينيه مباشرة ، وقالت :

ـ (قدرى) .. ثق بأن هذا ليس بسبب ما قلته ، ولكن ..

وهوت على فكه بلكمة مباغتة ، جحظت لها عيناه لحظة ، قبل أن يسقط فاقد الوعى على فراشه ، وهى تستطرد فى حزم :

ـ ولكننى أحسم الأمر .

هتف بها (ناشد) منزعجًا :

ـ رباه ! .. ماذا فعلت أيها الرائد ؟ !

أجابته فى حزم :

- لقد سمعتنى جيدًا .. إننى أحسم الأمر .. هيا .. قل إنه سقط فى غيبوبة ، وأتم إجراءات نقله من هنا .. أريد ألا يستيقظ إلا داخل الطائرة .. هيا .

وتابعت كل الإجراءات ، التى اتخذها (ناشد) ، حتى انطلقت سيارة الإسعاف بـ (قدرى) إلى مطار (نيويورك) ، ثم تنهدت مغمغمة :

- سامحنى يا (قدرى) ، ولكن الموقف تعقّد أكثر ، وليس من المنطقى أن أترك خلف (أدهم) نقطة ضعف واحدة .

قالتها وأفكارها كلها تتجه نحو (أدهم) ، وعقلها يتساءل ..

تُرى ماذا يفعل الآن فى سجنه ؟ وكيف يواجه الموقف كله ؟! ..

كيف ؟! ..

* * *

لثوان ، ران على حجرة المقابلات الخاصة ، فى سجن (نيويورك) ، صمت رهيب ، خفق خلاله قلب المفتش (هاتكس) فى عنف ، وهو يحدق فى وجه (أدهم) الغاضب الثائر ، قبل أن يقول فى حدة :

- اسمع يا هذا .. أعلم أن الخبر قد أثارك وأغضبك ،

ولكن لو أنك تفكر فى الفرار من هنا ، فلتعلم أن هذا مستحيل ، فكل زنزانة لها رتاج إليكترونى خاص ، ووسائل الأمن محكمة للغاية .

وابتسم الحارس ، مضيفًا فى سخرية :

- وطوال عملى هنا ، لم تنجح بعوضة فى الفرار ، فوسائلنا دقيقة محكمة ، يستحيل معها أن يتسرّب الهواء نفسه إلى الخارج ، دون تصريح مسبق ، من مدير السجن شخصيًا .

تطلّع إليهما (أدهم) لحظة فى صمت ، قبل أن يقول فى هدوء مثير ، أثار ذهولهما معًا إلى أقصى حد :

- حتى الآن .

ارتفع حاجبا الحارس لحظة ، ثم لم يلبثا أن انعقدا فى شدة ، وهو يقول فى حدة صارمة ، ويده تتحرك نحو المسدس المعلّق فى حزامه :

- ما الذى تعنيه بقولك هذا يا رجل ؟

كان (هاتكس) يهمّ بقول شىء ما ، إلا أن هذا الشىء تحوّل بغتة إلى شهقة قوية ، تزامنت مع تلك الانتفاضة العنيفة ، التى أصابت جسده ، واتساع عينيه المذعورتين ، عندما فوجئ بـ (أدهم) يثب من مقعده كالفهد ، ويهوى على فك الحارس بلكمة كالقنبلة ، قائلًا فى صرامة :



وثبت قدم (أدهم) تركل المسدس فى سرعة وخفة مدهشتين ، وهو يقول : ـ ياله من سؤال !!

ـ أعنى هذا .

تراجع (هانكس) بحركة غريزية ، واندفعت يده تنتزع مسدسه ، من جرابه المعلّق تحت إبطه ، وهو يهتف منزعجًا :

ـ ماذا تفعل يا رجل ؟

وثبت قدم (أدهم) تركل المسدس فى سرعة وخفة مدهشتين ، وهو يقول :

ـ ياله من سؤال !!

وقبضت أصابعه الفولاذية على معصم المفتش ، ولوته فى قوة ، مع استطرادته :

ـ ألا يبدو لك الأمر واضحًا ؟

ثم أضاف ، وهو يدس يده فى جيب الرجل ، وينتزع منه القيود الحديدية :

ـ لقد قرَّر الخروج من هنا .

هتف (هانكس) ، و (أدهم) يحيط معصميه بقيوده خلف ظهره :

ـ ولكن هذا مستحيل ! .. أنت مجنون لتفكّر فى مثل هذا الأمر ! .. ألا تعلم ما سيواجهك ، لو أنك بدأت محاولة كهذه ؟

أجابه (أدهم) فى حزم مقتضب :

ـ بالتأكيد .

قالها ، وهو يحل رباط عنق المفتش ، ويكمم به فمه فى إحكام ، قبل أن يدفعه جانبا ، وينحنى ليبدل ثيابه بثياب الحارس الفاقد الوعى ..

وفى دهشة عصبية متوترة ، راقبه المفتش (هاتكس) ، حتى انتهى من تبديل الثياب ، ثم فوجئ به يفتح باب الحجرة فى جرأة عجيبة ، ثم يضع كفيه على وجهه ، ويعدو هاتفا :

ـ النجدة .. السجين يهاجم المفتش .. النجدة .

واتسعت عينا (هاتكس) فى ذهول ..

فالصوت الذى انطلق من حلق (أدهم) ، لم يكن يشبه صوته الحقيقى ، بأى حال من الأحوال .

لقد كان نسخة طبق الأصل ، من صوت الحارس الفاقد الوعى ..

ولقد أثار هتاف (أدهم) موجة عنيفة من التوتر ، جعلت الحراس جميعهم يندفعون نحو الحجرة ، وكل منهم يشهر مسدسه ، فى حين انطلق (أدهم) نفسه فى الاتجاه العكسى .

وعندما اقتحموا الحجرة ، قفزت دهشة عارمة إلى عيونهم ووجوههم ، وكيانهم كله ، وهتف أحدهم :

ـ ماذا حدث ياسيادة المفتش ؟

حاول (هاتكس) أن يهتف ، ويصرخ ، ويحذر ، ولكن الكمامة التى تغلق فمه منعته من هذا ، فراح يقاوم قيوده فى عنف ، فى حين هتف حارس آخر ذاهلا ، وهو يشير إلى زميله ، الذى أفقده (أدهم) وعيه :

ـ عجبًا ! .. ها هوذا (كينو) .. من ذلك الذى هتف محذرًا إذن .

كان حارس ثالث قد رفع الكمامة عن فم المفتش ، فى هذه اللحظة ، فهتف فى ثورة .

ـ إنه السجين أيها الأغبياء .. الحقوا به .. الحقوا به بالله عليكم .

ارتسم الذهول على وجوههم بضع لحظات ، ثم اندفعوا خلف (أدهم) ، فى مزيج من الغضب والسخط والتوتر ، حتى أن أحدهم لم يحاول حل القيد الحديدى من معصمى (هاتكس) ، الذى راح يصرخ :

ـ أيها الأغبياء ! .. أيها الأغبياء :

ولم يسمعه أحدهم ..

لقد انطلقوا جميعًا لمطاردة هدف واحد ..

هدف اتخذ قراره بتحطيم القضبان التى تحيط به ..

كل القضبان ..

* * *

انعقد حاجبا (توماس كلارك) فى شدة ، وهو يتطلع إلى شاشة (التليفزيون) ، ومذيع المحطة الإخبارية الشهيرة يقول :

ـ للمرة الثانية ، خلال ساعة واحدة ، تنطلق صفارات الإنذار فى السجن المركزى ، معلنة حالة الطوارئ القصوى ، ولا أحد يدرى سبب انطلاقها للمرة الثانية ، ولكن المحللين يرجحون أن ذلك الشخص الغامض ، المسئول عن معركة المستشفى المركزى ، وراء حدوث هذا .

هزّ (تشارلز) رأسه فى عصبيه ، وهو يقول :

ـ تبدو لى مشكلة ذلك الرجل ، وكأنها لن تنتهى أبدًا .

قال (توماس) فى توتر شديد ، وهو يتابع (التليفزيون) :

ـ يبدو أننا أسأنا تقدير قدرات ذلك الرجل يا (دار) .. من الواضح أنه أكثر خطورة مما كنا نتصوّر .

هزّ (تشارلز) رأسه ، قائلاً :

ـ ملفه أنبأنا بهذا ، إلا أننا لم نصدّق ما ورد به .

أشار (توماس) إلى الشاشة ، وهو يقول فى حزم :

ـ أراهنك على أنه يثير جنونهم هناك الآن .

انعقد حاجبا (تشارلز) لحظة ، قبل أن ترتسم على

شفتيه ابتسامة ملؤها الدهاء ، وهو يقول :

ـ ولكنها فرصة مثالية ، لا ينبغى أن نضيعها قط .

التفت إليه (توماس) ، قائلاً :

ـ ماذا تعنى ؟

أشار بسبّابته ، وهو يقول :

ـ أعنى أن (أدهم) هذا يسبب الكثير من المتاعب فى السجن الآن ، ومن الطبيعى أن يواجه مقاومة مناسبة .

ثم مال نحوه ، وغمز بعينه ، مستطردًا :

ـ وقد تتطوّر هذه المقاومة إلى إطلاق النار .. للدفاع عن النفس مثلاً .

برقت عينا (توماس) ، وهو يهتف :

ـ آه .. فهمت .. وتكون عملية قتل قانونية ونظيفة مائة فى المائة .

ثم التقط سمّاعة الهاتف ، مستطردًا بابتسامة جذلة :

ـ ولا تحتاج لأكثر من محادثة هاتفية واحدة .

قالها ، وهو يدير الرقم الخاص برجلهم فى السجن (بيرت) .

(آلان بيرت) مسئول أمن سجن (نيويورك) المركزى ..

شخصيًا ..

* * *

لم يكد (أدهم) ينطلق خارج حجرة اللقاءات الخاصة منتحلاً شخصية الحارس ، حتى استغل حالة الهرج والمرج ، التى أحدثتها صرختة المستنجدة الزائفة ، وتجاوز البوابة المعدنية الأولى ، وهو يراجع ما سجلته ذاكرته ، وهو فى طريقه إلى هنا .. لقد هبط من الطابق الذى يضم الزنازين ، إلى هذا الطابق ، ومرّ بحجرتى حراسة ، وحجرة مخزن المفروشات ، ثم حجرة الصيانة ..

والأخيرة هى هدفه بالتحديد ..

ففى حجرات الصيانة ، توجد عادة خرائط شاملة للمكان ..

لكل مداخله ومخارجه ، وممرات التهوية ، والمياه ، وشبكة الكهرباء ، وكل ما يمكن أن يحتاج إليه فى رحلة الهرب ..

وفى نفس اللحظة ، التى كشف فيها الحراس خدعته ، كان يدلف إلى حجرة الصيانة ، بعد أن عالج رتاجها فى سرعة ومهارة ، وأغلقها خلفه فى إحكام ، وأخذ يبحث عن تلك الخرائط ..

وكانت نظرية سليمة تماما ..

لقد عثر بالفعل على خريطة كبيرة ، تشمل توزيع

ممرات التهوية ، وشبكة المياه والإنارة ، وتوزيع حجرات الخدمات ..

وفى اهتمام شديد ، راح (أدهم) يدرس الخريطة ، وهو يغمغم فى غضب :

ـ هؤلاء الأوغاد أرادوا إفساد خطتى باختطاف (منى) ، ولكننى أقسم أن أجعلهم يندمون أشد الندم ، لمجرد أنهم فكروا فى هذا .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى سمع صوت (آلان بيرت) ، مسئول أمن السجن ، وهو يهتف فى الخارج :

ـ ابحثوا عنه فى كل مكان ، وأغلقوا كل مداخل ومخارج السجن ، وغير مسموح لأى مخلوق بمغادرته مهما كانت الأسباب .. هل تفهمون ؟ .. مهما كانت الأسباب ..

تعالى وقع أقدام الحراس الثقيلة ، وهم يعدون فى ممرات السجن ، وسمع أحدهم يهتف :

ـ لايوجد له أثر هنا ، ولا يمكن أن يكون قد غادر هذا القطاع .. لا ريب فى أنه يستغل زى الحراس الذى يرتديه ، ليختبئ فى مكان ما هنا .

وهنا تعالى صوت آخر يقول :

ـ لقد لمحت حارسا عند حجرة الصيانة ، وربما ..

قبل أن يتم عبارته ، ارتفع صوت (بيرت) يصرخ :
- اقتحموا الحجرة ، وأطلقوا النار فور رؤيته .. أريده جثة هامدة .. لا تحافظوا على حياته .. لا أحد يريده حيًا .

اقترب وقع الأقدام من الحجرة فى سرعة ، فعقد (أدهم) حاجبيه ، مغمغمًا :
- هؤلاء الأوغاد يتحركون بسرعة بالفعل .

قالها ، والتقط من المكان مطرقة ، ومفكًا كبيرًا ، ولفة من الحبال ، و ..

وفى الخارج ، تعالى صوت (بيرت) يصرخ :
- قلت لكم : اقتحموا الحجرة .. لا تتركوا سنتيمترًا واحدًا من جسده ، دون أن تخترقه رصاصاتكم .. هيا .

وكان من الواضح أن الرجال لايحتاجون لأوامره لفعل هذا ؛ فغضبهم من الرجل الذى أفقد زميلهم وعيه كان يكفيهم لتحطيم باب الحجرة ، الذى أطلقوا النار على رتاجه ، ثم اقتحموه فى عنف ..

وانطلقت رصاصاتهم تغمر المكان كله فى غزارة ، دون أن تغفل سنتيمترًا واحدًا منه ..

أى سنتيمتر .

* * *

٤ - بلا هوادة ..

ارتجفت شفتا المصور (جان زوكرمان) فى تأثر ، واغرورقت عيناه بالدموع ، وهو يتطلع إلى جثة زوجته (أنجيل لوبان) ، فى مشرحة ذلك المستشفى المكسيكى الصغير ، والمفتش المكسيكى (بابلو) يسأله :
- أهذه جثة زوجتك يا سينور (زوكرمان) ؟

أومأ الرجل برأسه إيجابًا ، وهو يقاوم دموعه ، متمتمًا بصوت متحشرج :
- نعم .. إنها هى .

مطَّ المفتش شفتيه ، وهزَّ رأسه متفهمًا ، وهو يشير لعامل المشرحة بتغطية الجثة ، قبل أن يضع يده على كتف (زوكرمان) ، ويقوده إلى الخارج ، قائلاً :
- تقبَّل أسفى يا سنيور (زوكرمان) .. من الواضح أن قدم زوجتك قد انزلقت ، فسقطت على أم رأسها ، ولقيت حتفها على الفور .. سنقوم بكل الإجراءات بالطبع ، وستصل الجثة إلى الولايات المتحدة الأمريكية خلال أيام ، أما بالنسبة لمتعلقاتها ، فكلها هنا سليمة ، ويمكنك أن تتسلمها على الفور .

أومأ (زوكرمان) برأسه ، وحاول أن ينطق بشيء ما، إلا أن تلك الغصة فى حلقة منعته ، فاكتفى بهمهمة غير مفهومة ، وهو يتبع المفتش (بابلو) إلى حجرة صغيرة ، استقرت داخلها حقيبة أدوات التصوير الخاصة بزوجته ، مع بعض المتعلقات الشخصية ، وتنهد المفتش ، قائلا :

- الواقع أن مثل هذه الحوادث نادرة الوقوع هنا ياسنيور (زوكرمان) ، ولكن زوجتك كانت سيئة الحظ ، فقليلون هم من يلقون حتفهم عند النهر ، و ..

قاطعه (زوكرمان) فى دهشة :

- عند النهر ؟!.. وما الذى كانت تفعله عند النهر ؟

هز (بابلو) كتفيه ، قائلا :

- ومن أدرانى ؟.. كل ما أعلمه هو أن أحد الصيادين عثر على جثتها هناك .

انعقد حاجبا (زوكرومان) ، وهو يقول فى عصبية :

- اسمع يا رجل .. لست أدرى أين وكيف عثرتم على جثة زوجتى ، ولكن الشيء الذى أثق به تماما ، هو أن زوجتى كانت هنا لالتقاط بعض الصور ، الخاصة بالتلال والمرتفعات الصخرية ، ومنطقة النهر خالية منها تماما ، ومن المؤكد أنها لن تفكر حتى فى الذهاب إلى هناك .

أجابه المفتش (بابلو) فى صرامة :

- ليس هذا من شأنى .. استحضر روح زوجتك ، وسلها ما الذى كانت تفعله عند النهر ، أما أنا فمسئوليتى تنتهى عند تسلمك جثتها ومتعلقاتها .

وأشار إلى أشيائها ، مستطردا فى حدة :

- هيا .. راجع كل هذا ، ووقع بالاستلام .

ازداد انعقاد حاجبى (زوكرمان) ، وامتلأت ملامحه أكثر وأكثر بالشك ، إلا أنه راح يفحص أشياء زوجته فى اهتمام ، وبخاصة حقيبة أدوات التصوير ، التى راجعها فى سرعة ، قبل أن يقول فى حدة :

- أين آلة التصوير الثانية ؟

قال المفتش فى عصبية :

- الحقيبة بها آلة تصوير من طراز (نيكون) ، مع عدد من العدسات .

هز (زوكرمان) رأسه نفيا فى عنف ، قبل أن يقول :

- هذا لايكفى ، فالمحترف يحمل عادة آلتى تصوير من الطراز نفسه ، وهذه الحقيبة تحوى آلة التصوير الاحتياطية ، ولكن لا وجود لآلة التصوير الرئيسية ، ثم إنه هناك أمر آخر أكثر إثارة للدهشة .

بدا الاهتمام على وجه المفتش ، وهو يسأله :

ـ وما هو ؟

أجابه (زوكرمان) فى توتر أكثر :

ـ لايوجد فيلم واحد فى الحقيبة كلها .. لا أفلام خام ، ولا أفلام تم تصويرها ، فهل تتصورَ أن زوجتى جاءت إلى هنا ، وخرجت إلى منطقة شبه مقفرة ، لتلتقط صورًا لكتابها الجديد ، ثم نسيت بعد كل هذا أن تحضر أفلام التصوير ؟!

صمت (بابلو) بضع لحظات ، وهو يتطلَّع إلى الحقيبة ، قبل أن يرفع عينيه إلى (زوكرمان) ، ويسأله فى اهتمام :

ـ وما تفسير هذا فى رأيك ؟

كادت أسنان (زوكرمان) يحطِّم بعضها البعض ، وهو يجيب فى صرامة :

ـ لو نظرنا إلى الأمر بواقعية ، وطرحنا جانبًا رغبتك التقليدية فى إغلاق ملف الحادث ، وإنهاء الموقف بأقل قدر من المشكلات والمتاعب ، لوجدنا أن التفسير الوحيد هو أن أحدهم تخلص من زوجتى ، ومن آلة التصوير الرئيسية ، وكل أفلام التصوير ، ثم نقل جثتها وأدواتها إلى قرب النهر ، ليبدو الأمر كحادث عارض .

بدا مزيج من الدهشة والانزعاج على وجه المفتش ، وهو يقول :

ـ ولماذا يفعل شخص ما هذا ؟!

قال (زوكرمان) فى عصبية :

ـ ليخفى سرًا كشفته ، أو التقطت صورته على الأرجح .

بدا هذا التفسير منطقيًا للغاية بالنسبة للمفتش (بابلو) ، حتى أنه شرد بضع لحظات مع التفكير فيه ، قبل أن يهزَّ رأسه فى عنف ، قائلاً :

ـ سنيور (زوكرمان) .. هذا ليس فيلمًا أمريكيًا من أفلام الإثارة .. عش الواقع يا رجل .

أجابه (زوكرمان) فى حزم :

ـ إننى أعيش الواقع أيها المفتش ، وأحيا كل جزء منه .

قالها على نحو بدا معه من الواضح أنه لم ولن يخضع للتفسير الرسمى لموت زوجته ..

لن يخضع له قط ..

* * *

اقتحم حرَّاس السجن حجرة الصيانة ، وانطلقت رصاصاتهم فى كل مكان بلا استثناء ، حتى لم يعد هناك

سنتيمتر واحد سليم ، ورئيسهم (بيرت) يقتحم المكان خلفهم ، هاتفًا :

- هل قتلتموه ؟!

توقّف إطلاق النار دفعة واحدة مع هتافه ، وتلفّت الجميع حولهم فى حيرة ، يتطلّعون إلى الحجرة التى تحطّمت تمامًا ، قبل أن يقول أحدهم حائرًا :

- ولكنه ليس هنا .

هتف صوت فى خلفه :

- مستحيل ! .. لقد رأيته يدخل إلى الحجرة ، ولم يغادرها قط ، حتى اقتحامكم لها .

بدت الحيرة على وجوههم ، وأطلّ الغضب من عينى (بيرت) وملامحه ، وهو يقول :

- اللعنة !.. أين اختفى إذن .. من المستحيل أن يكون قد تلاشى ، أو ..

بتر عبارته بغتة ، عندما وقع بصره على فتحة التهوية فى السقف ، وصرخ :

- ممرات التهوية .. إنه داخل ممرات التهوية .

ولم يكد يتمّ عبارته ، حتى ارتفعت فوهات مدافعهم الآلية فى آن واحد ، وبحركة غريزية وانطلقت رصاصاتهم نحو السقف ، فى نفس اللحظة التى اندفع

فيها (أدهم) ، يزحف بأقصى سرعته ، عبر ممر التهوية ، فى سقف الحجرة ..

وانطلقت الرصاصات من حوله ، مخترقة السقف ، والممر المصنوع من الصاج المقوّى ، وشعر بإحدى الرصاصات تمزّق سرواله ، وجزء من لحم فخذه ، قبل أن يتجاوز ذلك الجزء من ممرات التهوية ، إلى شبكة الممرات الرئيسية ..

وفى غضب هادر ، هتف (بيرت) :

- لقد تجاوزنا .. انطلقوا خلفه .. لا تسمحوا له بالفرار أبدًا .

اندفع الرجال خارج الحجرة ، وبدت عليهم الحيرة ، وهم يتطلعون إلى الأسقف المغلقة ، فصاح (بيرت) :

- انتزعوا شبكة فتحة التهوية ، وطاردوه فى الممرات.

تعاون الرجال فى سرعة ، ولم يلبث اثنان منهم أن دلفا إلى الممرات ، فى حين أشار (بيرت) إلى الآخرين ، قائلاً فى حنق :

- شبكة الممرات هذه تمتدّ إلى كل مكان فى السجن ، والرجل يمكنه استخدامها ؛ للوصول إلى أى مكان ، فيما عدا الزنازين وممراتها ، وهذا يحتم علينا الانتشار فى المكان ، وتغطية كل مخارج التهوية ، و ..

قاطعه صوت عصبى ، يقول :

- هذا لا يكفى .

التفت الجميع فى توتر إلى المفتش (هانكس) ، الذى يتجه نحوهم غاضبًا ، ومازال القيد الحديدى يحيط بمعصميه خلف ظهره ، وهو يستطرد :

ـ حلوا قيدى أولًا ، وسأخبركم ما ينبغى فعله .

أشار (بيرت) إلى أحد رجاله ، فأسرع يحل قيد (هانكس) ، ثم قال فى عصبية :

ـ لا شأن لك بما ينبغى أن نفعله أيها المفتش .. أنا المسئول عن الأمن هنا ، ولا سلطة تخول لك التدخل فى الأمر .

تحرَّر (هانكس) من قيده ، وقال فى حدة :

ـ لسنا هنا بصدد مناقشة الرسميات وحدود السلطات ، ولكن الأفضل أن نتعاون ، ولو بصفة ودية ، لاستعادة ذلك الرجل ، قبل أن نفقده .

قال (بيرت) فى عصبية :

ـ لن يمكنه الخروج من هنا .. ثق بهذا .

صاح به (هانكس) :

ـ ثق أنت بأن ذلك الرجل ليس كأى خصم واجهته من قبل .. إنه حالة خاصة ، وخاصة جدًا ، ومن الخطأ أن تتصور أنه يوجد ما يمكن أن يعجز عن فعله ، وإلا فستصاب بصدمة عنيفة ، عندما تحين لحظة المواجهة الحقيقية .

انعقد حاجبا (بيرت) ، وهو يقول فى غضب :

ـ استيقظ أيها المفتش .. لو أننا نتحدث عن الرجل نفسه ، فهو مجرد رجل واحد ، مهما بلغت مهاراته وقدراته .. رجل واحد فى مواجهة أطقم الحراسة ، ونظم الأمن ، والبوابات الإلكترونية ، وأجهزة المراقبة ، والأضواء الكاشفة ، والأسوار المزدوجة المكهربة .. رحل واحد أيها المفتش .. رجل واحد .

انعقد حاجبا (هانكس) ، وهو يقول :

ـ نعم هو رجل واحد ، ولكنه يساوى جيشًا من رجالك .

صرخ (بيرت) :

ـ أهكذا تفكرون يا رجال المباحث الفيدرالية ؟!.. أيمكن أن يخيفكم رجل واحد إلى هذا الحد ؟!.. إنه بالتأكيد ليس (سوبرمان)(*) أو (باتمان)(**) أو حتى العملاق الأخضر(***) .. إنه مجرد رجل !

(*) سوبرمان : شخصية خيالية ، لبطل من كوكب آخر (كريبتون) ، اكتسب قوى خارقة على كوكب الأرض ، واستخدمها لمقاومة الشر وتغليب الخير ، ولقدابتكرها (جو شاستر) و (جيري سيجال) ، إبان الأزمة الاقتصادية الأمريكية فى الثلاثينات .

(**) باتمان : بطل خيالى مقنع ، من ابتكار الأمريكى (بوب كين) ، لقى ولداه مصرعهما ، على يد مجرم أثيم ، فقرر الثأر لهما بمحاربة الجريمة طيلة عمره .

(***) العملاق الأخضر : شخصية خيالية لعالم أمريكى ، تعرض لكمية من أشعة (جاما) ، التى أثرت على تكوينه ، فأصبح قادرًا على التحول إلى عملاق أخضر اللون خارق القوة عند الغضب .

زفر (هانكس) فى حنق ، قبل أن يقول فى حدة :

- فليكن يا رئيس الأمن .. دعنا نر كيف ستتعامل مع هذا الرجل الواحد ..

قال (بيرت) فى صرامة عنيدة :

- سترى .

ثم التفت إلى أحد رجاله ، مستطردًا :

- اتصل بالرجلين داخل ممرات التهوية ، ومرهم بإطلاق النار على الهدف فور رصده .

ورمق (هانكس) بنظرة جانبية ، وهو يضيف :

- وبلا رحمة .

قالها ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة ، و .. ومتشفية ..

* * *

زحف الحارسان فى حذر ، عبر ممرات التهوية ، وقال أحدهما ساخطاً ، وهو يلمح مفترق طرق ، على بعد مترين منهما :

- تُرى أى طريق ينبغى أن نتخذه للحاق بذلك الرجل .

بدت الحيرة على وجه زميله ، وهو يجيب :

- لست أدرى ، ربما انطلق كل منا فى ..

قاطعه أزيز جهاز اللاسلكى ، فانتزعه من حزامه ، وقال فى توتر :

- ماذا هناك ؟

أتاه صوت أحد زملائه ، قائلاً :

- الرئيس يأمركما بإطلاق النار على الرجل ، فور العثور عليه ، وبلا رحمة .

انعقد حاجبا الرجل ، وهو يقول فى عصبية :

- نطلق عليه النار ؟ أتعرف ما الذى يمكن أن يحدث ، لو أطلقنا النار داخل ممرات التهوية ؟

مضت لحظة من الصمت ، ثم ارتفع صوت (بيرت) نفسه ، يقول فى غضب :

- لا تناقش أيها الغبى .. نفذ الأوامر فحسب .. هل تفهم ؟

تبادل الرجلان نظرة متوترة ، قبل أن يقول أحدهما :

- سنفعل أيها الرئيس .. سنطلق النار فور رؤية الرجل ، حتى ولو أدى هذا إلى انهيار نظام التهوية كله .

صرخ (بيرت) :

- فلينهر السجن كله لو اقتضى الأمر .. المهم أن يقضى ذلك الرجل نحبه تحت أنقاضه .

هتف أحد الحارسين :

- فليكن أيها الرئيس ، سنفعل ما تأمر .. اطمئن .

قالها ، وسبابته تتجه نحو زر إنهاء الاتصال ، إلا أن يده كلها ارتجفت مع جسده فى عنف ، عندما سمع صوتًا ساخرًا ، يقول :

- لا تغلقه الآن .

استدار الرجلان فى مزيج من الذعر والدهشة إلى مفترق الممرات ، حيث برز (أدهم) ، وهتف أحدهما منزعجًا ، وهو يصوب إليه مسدسه :

- رباه !.. من أين .. ؟ ...

قبل أن يتم عبارته ، كانت أصابع (أدهم) تقبض على ماسورة المسدس ، وتنتزعه من يد الرجل ، فى حركة قوية عنيفة ، وهو يقول ساخرًا :

- من الخطر العبث بالأسلحة النارية ، فى أماكن مغلقة .

ثم هوى على فكه بكلمة كالقنبلة ، مستطردًا :

- فهذا يُفقدك الوعى .

صوب إليه الحارس الآخر مسدسه ، وهو يهتف مذعورًا :

- ابتعد عنى .. لن أسمح لك بـ ..

انقضت يد (أدهم) على معصم الرجل ، ولوته إلى أعلى فى حركة سريعة ، و ...

وانطلقت الرصاصة ..

انطلقت على قيد سنتيمترات من أذن (أدهم) ، ودوت كالقنبلة فى ممرات التهوية الضيقة ، التى ارتجت مع التردد ، فى نفس اللحظة التى حطم فيها (أدهم) أنف الحارس الثانى ، وصوت (بيرت) يتعالى عبر جهاز اللاسلكى :

- ماذا حدث عندكما ؟!.. ماذا حدث بحق الشيطان ؟!

تكررت صيحته عدة مرات ، دون أن يتلقى جوابًا .. ودون حتى أن يسمعها (أدهم) ..

هذا ، لأن انطلاق الرصاصة إلى جوار أذنه ، فى تلك الممرات الضيقة ، قد أصابه بفقدان مؤقت لواحدة من أهم حواسه الخاصة ..

حاسة السمع ..

* * *

على الرغم من دقة وخطورة الموقف ، لم يستطع (هانكس) منع نفسه من الابتسام ، عندما نقل جهاز اللاسلكى عبارات (أدهم) الساخرة ، ودوى الرصاصة ، وقال بلهجة تحمل تهكمًا واضحًا :

- إنه مجرد رجل واحد .

انعقد حاجبا (بيرت) فى سخط غاضب ، وهتف :



لأن انطلاق الرصاصة إلى جوار أذنه ، في تلك الممرات الضيقة ، قد أصابه بفقدان مؤقت لواحدة من أهمّ حواسه الخاصة ..

ـ نعم .. مجرّد رجل واحد ، وانتصاره المحدود هذا لايعني أنه هزمنا .

قال (هانكس) في برود مستفز :

ـ بالتأكيد .. ما المشكلة في اختفائه ، وفقدانكم لأثره في ممرات التهوية .

مال (بيرت) نحوه ، قائلاً :

ـ مهما بلغ اتساع وانتشار ممرات التهوية ، فهي محدودة ، ولن يمكنه الاختفاء فيها إلى الأبد .

وانعقد حاجباه ، وهو يضيف :

ـ ووجوده داخلها يجعله أشبه بفأر في المصيدة .

سأله (هانكس) في سخرية :

ـ ومن سيلعب دور القط ؟.. أنت ؟

صاح (بيرت) :

ـ نعم .. أنا .

تراجع (هانكس) برد فعل مباشر ، ومسح الرذاذ عن وجهه في تقزُّز ، في حين التفت (بيرت) إلى رجاله ، قائلاً في صرامة :

ـ أحضروا الأقنعة الواقية ، واطلبوا من الجميع ارتداءها على الفور .

سأله (هانكس) متوترًا :

ـ فيم تفكر يارجل ؟

أشار (بيرت) إلى فتحة التهوية ، قائلاً :

ـ سنطلق الغاز المنوم ، عبر ممرات التهوية ، إلى كل مكان فى السجن ، ونظرًا لأنه غاز عديم اللون خفيف الرائحة ، فسيستنشقه ذلك الرجل دون أن يدرى ، ويسقط فاقد الوعى ، داخل الممرات ، وعندئذ نربطه من قدميه ، ونسحبه إلى هنا دون مقاومة .

قال (هانكس) فى دهشة :

ـ ولكن انتشار الغاز سيؤدى إلى إسقاط كل السجناء .

ابتسم (بيرت) فى سخرية ، قائلا :

ـ وماذا فى هذا ؟

ومدّ يده يلتقط القناع الواقى من الغازات ، من أحد رجاله ..

وفى نفس اللحظة ، التى ارتدى فيها قناعه ، كان (أدهم) يزحف داخل ممرات التهوية ، متتبعًا تلك المسارات ، التى رآها على الخريطة ..

كان مصابًا بصمم مؤقت ، أصابه بانزعاج شديد ، فغمغم دون أن يسمع نفسه :

ـ المفترض أن يقودنى هذا الممر إلى مخرج ما ، فى قبو السجن ، ولكن المهم ألا ينتبه رئيس الأوغاد

إلى أننى سأتخذ هذا المسار ، حتى لا أجدهم فى انتظارى هناك .

واصل زحفه بضع لحظات ، حتى بلغ ممرًا يميل إلى أسفل ، بزاوية شبه حادة ، فدفع جسده عبره ، وتركه ينزلق فى سرعة ، متمتمًا :

ـ هذه الوسيلة أكثر سرعة بالتأكيد .

لم يكن يسمع صوته ، وهو يتمتم بالعبارة ، ولكنه شعر مع انزلاقه بسرعة الهواء تتزايد وبارتجاج محدود فى جدران الممر ، الذى يتسع كثيرًا ، كلما انزلق إلى أسفل أكثر وأكثر ..

وفجأة ، انتبه إلى طبيعة ذلك الارتجاج ، وسبب تزايد سرعة الهواء ، و ..

ولمح تلك المروحة الضخمة ..

المروحة التى تمدّ ممرات التهوية كلها بالهواء ..

كانت ريشاتها الكبيرة تدور بسرعة مخيفة ، وتسدّ نهاية الممر .

وكان يندفع نحوها ، منزلقًا فوق الممر المعدنى ، على نحو لا يمنحه سوى فرصة واحدة ..

فرصة الموت داخل ممر محدود ..

وبأبشع وسيلة ممكنة ..

* * *

« يا للسخافة ! .. »

نطق المفتش (هانكس) الكلمة في سخط واضح ، وهو يرتدى القناع الواقى من الغازات ، ويراقب رجال الحراسة ، وهم يطلقون الغاز المنوّم في ممرات التهوية ، فالتفت إليه (بيرت) قائلاً :

- أية سخافة هذه ، التى تتحدث عنها ؟

أجابه (هانكس) على الفور :

- كل ما يحدث حولى صورة مجسّمة للسخافة ، حتى أننى أكره البقاء والمراقبة ، وأفكّر جديًا في الخروج من هنا .

قال (بيرت) في سخرية شامتة :

- لن يمكنك هذا للأسف ، فلن يخرج مخلوق واحد من هنا ، قبل حسم هذا الموقف ، وإعادة الرجل إلى زنزانته .

قال (هانكس) ، محاولاً استفزازه :

- هل تعنى أننى سأقضى ما تبقى من عمرى هنا ؟

رمقه (بيرت) بنظرة غاضبة ، قبل أن يقول في عصبية :

- سنرى .

ثم أشار إلى رجاله ، ليواصلوا إطلاق الغاز في

ممرات التهوية ، وانعقد حاجباه ، وهو يسترجع كلمات (توماس كلارك) ، التى ختم بها محادثته الهاتفية الأخيرة معه ...

« لابد وأن يلقى ذلك الرجل مصرعه الليلة ... وبأى ثمن .. » ..

وجعله الغضب يكرّر في أعماقه العبارة الحاسمة الأخيرة ..

بأى ثمن ..

* * *

على الرغم من السرعة المخيفة ، التى ينزلق بها جسد (أدهم) ، نحو مروحة التهوية الضخمة ، انطلق عقله يعمل بتلك الدقة المذهلة ، لدراسة موقفه ، وتحديد ردود الفعل المناسبة تجاهه ..

لم يكن من الممكن أبدًا أن يتشبث بجدران الممر المصقولة ، وهو ينزلق بهذه السرعة ؛ ليمنع جسده من السقوط في براثن المروحة الحادة القاتلة ..

إلا إذا ..

وعند هذه الجملة الاعتراضية البسيطة ، توقّف عقله لجزء من الثانية ، قبل أن ينطلق لتحويل الفكرة إلى خطة ، ووضعها موضع التنفيذ ..

وبسرعة مدهشة ، انتزع المطرقة ، التى استولى عليها من حجرة الصيانة ، من حزامه ، وهوى بطرفها الحاد على الجدار المصنوع من الصاج ..

ومع قوة الضربة وعنفها ، اخترقت المطرقة الجدار ، وتعلق (أدهم) بذراعها ، فتوقف انزلاقه دفعة واحدة .

وفى لحظة التوقف المباغت ، صرخت عضلات ذراع (أدهم) من الألم ، إلا أن أصابعه تشبثت بذراع المطرقة فى قوة ، متجاهلة الألم وانقباض العضلات ، فلهث فى عنف لثانية أو يزيد ، قبل أن يغمغم :

ـ حمدًا لله .. لولا هذه المطرقة ، مع عناية الله (سبحانه وتعالى) ، لـ ..

بتر عبارته بغتة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، مع تلك الرائحة الضعيفة ، التى التقطها أنفه الحساس ..

رائحة استقبلتها مراكز الشم ، ونقلتها فى جزء من ألف جزء من الثانية إلى المخ ، الذى صنفها بسرعة ، وحدد طبيعتها فى جزء آخر من ألف جزء ..

وانعقد حاجباه فى شدة ..

لقد ميز الرائحة ، على الرغم من ضعفها ، وتعرف فيها أحد الغازات المخدرة ، التى تنتشر عبر ممرات التهوية ..

ودون إضاعة جزء آخر من الأجزاء الألف للثانية ،

كتم (أدهم) أنفاسه وراح عقله يدرس هذا الموقف الجديد .

كان من الواضح أن الأمورتتعقد أكثر وأكثر ، فى كل لحظة تمضى ..

والمواقف تتداعى فى سرعة ، من موقف إلى آخر ..

اختطاف السفير المصرى ..

القتال العنيف طوال الوقت ..

معركة المستشفى ..

السجن ..

ثم اختطاف (منى) ..

راجع عقله كل هذه الأحداث فى أجزاء قليلة من الثانية ، وهو ينتزع لفة الحبال من خزامه ، ويربط المفك فى طرفها ، و ...

وفجأة ، حدث ما لم يكن فى الحسبان ...

لقد انفصل ذراع المطرقة عن قمتها المعدنية ..

وعاد جسد (أدهم) ينزلق فى سرعة نحو المروحة الضخمة ..

ونحو موت مؤكد ..

بلا مفر ..

وبلا هوادة ..

* * *

٥ - كل القوى ..

شد رجل العمليات الخاصة (جاك) قامته فى حزم ، أمام الجنرال (جيمى تورنسول) الذى انعقد حاجباه فى غضب ، وهو يقول :

- يا للعار !!. يا للسخافة !.. كيف يفعل بكم ذلك الرجل هذا ؟ كيف يهزم مع زميلته ثلاثة من أقوى رجال العمليات الخاصة الأمريكية ؟!

تنحنح (جاك) ، قائلاً :

- معذرة ياسيدى الجنرال ، ولكنك أخبرتنا سابقًا أنه هزم فريق القتلة رقم واحد فى (سويسرا)(*)

احتقن وجه (تورنسول) ، وهو يقول فى حدة :

- ماذا تقول يا رجل ؟ .. ماذا تعنى بقولك هذا ؟ .. هه ...

شدّ (جاك) قامته أكثر ، وهو يقول :

- لست أعنى شيئًا ياسيدى الجنرال ..

رمقه (تورنسول) بنظرة عصبية ، قبل أن يشيح

(*) راجع قصة (الإعصار الأحمر) .. المغامرة رقم ١٠٤ .

بوجهه عنه ، ويتجه إلى نافذة حجرة مكتبه ، ويتطلّع عبرها فى صمت لدقيقة أو يزيد ، ثم يقطع هذا الصمت بعبارة مقتضبة حازمة ، قائلاً :

- أريد ذلك الرجل يا (جاك) .

أجاب (جاك) فى سرعة وحزم :

- أنا رهن إشارتك يا سيدى الجنرال .

أومأ(تورنسول) برأسه فى رضا ، قبل أن يقول :

- هذا ما أتوقّعه من تلامذتى ..

وصمت لحظة أخرى ، ثم استطرد :

- وذلك الرجل أصاب زميليك (ماتسون) و (ألبرت) بإصابات فادحة ، ستقعدهم عن العمل على الأرجح ، وأظنك تتوق للثأر منه .

أجابه (جاك) :

- هذا صحيح .

انعقد حاجباً (تورنسول) ، وهو يقول فى مقت واضح :

- أنا أيضًا أسعى للثأر منه يا (جاك) ، ولكن هناك أمر ينبغى أن تدركه ، قبل أن نشرع فى هذا .

ثم استدار إليه فى بطء ، وتطلّع إليه بنظرة صارمة ، مضيفًا فى حزم :

- إننا سنعمل بصفة غير قانونية .. أو بمعنى أدق ، بصفة شخصية بحتة .

صمت (جاك) لحظة ، وكأنه يزن الأمر فى رأسه ، قبل أن يقول فى حسم :

- لا فارق عندى يا سيدى الجنرال .

تنهد (تورنسول) فى ارتياح ، وهو يغمغم :

- عظيم .. عظيم يا (جاك) .

وتقدم نحوه ، ليضع يده على كتفه ، مستطردًا :

- هكذا أحب أن يكون رجالى .

ومنح الشاب ابتسامة مشجعة ، وُلدت وماتت على شفتيه فى لحظات ، قبل أن يعقد كفيه خلف ظهره ، ويسير فى أرجاء الحجرة ، قائلا :

- كوننا نعمل بصفة شخصية لن يمنعنى من منحك أحدث وأفضل أسلحتنا ومعداتنا يا (جاك) .. ستحصل على برنامج (السوبرمان) الجديد ، الذى لم يتم استخدامه سوى فى أثناء التدريبات الخاصة فحسب ، وسأقول : إننا اخترنا هذه الفرصة لتجربته .. المهم أن تواجه ذلك الرجل ، وأن تسحقه سحقًا .

قال (جاك) فى حزم :

- سأبذل قصارى جهدى يا سيدى الجنرال .

التفت إليه (تورنسول) ، قائلا :

- المهم الآن أن نحدد موقعه .

قال (جاك) فى حيرة :

- أليس داخل السجن المركزى يا سيدى ؟

أجاب (تورنسول) فى سرعة :

- مؤقتًا .

أطل التساؤل فى عينى الشاب ، فتابع (تورنسول) فى اهتمام :

- إنه يثير متاعب جمة هناك ، فى هذه اللحظة ، وبناء على خبرتى السابقة كرئيس لقسم العمليات الخاصة ، فى المخابرات المركزية الأمريكية ، وكرجل خاض حربًا محدودة ، ضد (أدهم صبرى) هذا ، أراهن على أنه سيكسر غطرسة طاقم أمن السجن ، وسيغادره على الرغم منهم جميعًا ، وتحت أنوفهم ، مهما حاولوا منعه من هذا .

انعقد حاجبا الشاب ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فى حين انهمك الجنرال بضع لحظات فى فحص علبة الخرائط ، قبل أن يلتقط من بينها خريطة ، ثبتها على الجدار المقابل ، وقال :

- هذه خريطة هندسية تفصيلية لسجن (نيويورك)

المركزى بكل مداخله ومخارجه ، ولو أننا استعرنا طريقة تفكير (أدهم صبرى) ، وأضفنا إليها شيئًا من الخيال ، مع القليل من التقدير لقدراته ومواهبه الفذّة ، فسنجد أن أفضل مخرج له هو هذا" .. وهنا ينبغى أن ننتظره .

قالها ، وسبّابته تشير إلى نقطة محدودة ..

والعجيب أنها نقطة تبعد عن السجن بأكثر من كيلومترين.

وارتفع حاجبا الشاب فى حيرة ..

بل فى دهشة ..

دهشة عارمة ..

* * *

أى متابع لحياة (أدهم) وأعماله ، لابد وأن يدرك أن الفضل الأوّل فى نجاته ، من كل ما يتعرّض له من مخاطر يعود ـ بعد عناية الله (سبحانه وتعالى) ـ إلى ذلك التوافق العضلى العصبى المدهش ، الذى وهبه الخالق (عزّ وجلّ) إياه ، وصقلته الخبرة والتجارب المختلفة ..

ففى نفس اللحظة ، التى انفصل فيها ذراع المطرقة ، كان (أدهم) يلقى الحبل ، وفى نهايته المفك ، نحو المروحة الضخمة ..

وعلى الرغم من القرقعة القوية ، التى حدثت مع ارتطام المفك بالمروحة ، والتفاف الحبل حول ريشاتها ، بفعل دورانها ، إلا أن أذن (أدهم) المصابة بصمم مؤقّت لم تسمع شيئًا ، فى حين تركّزت حواسه كلها على عملية الانزلاق ، التى تدفعه نحو أجنحة المروحة ، التى انخفضت سرعة دورانها كثيرًا ، مع التفاف الحبل حولها ..

وبمهارة مدهشة ، وتوافق مذهل ، هبط (أدهم) بقدميه على ريشتين من المروحة ، ثم انحنى يتشبّث بمركزها ، وترك جسده يدور معها بسرعتها المنخفضة ، قبل أن يدفع قدميه فى إطارها بكل قوته ، ليمنع دورانها ..

كان هذا يحتاج إلى قوة خارقة بالطبع ، إلا أن الحبل الملتفّ حول محور المروحة عاونه على إيقافها لحظة واحدة ، كانت تكفى ليثب عبر الريشتين الكبيرتين ، إلى الجانب الآخر من المروحة ، التى عاودت دورانها فور عبوره ..

وعلى الجانب الآخر ، لهث (أدهم) مرتين فى قوة ، قبل أن يعاود كتم أنفاسه ، قائلًا لنفسه :

ـ حمدًا لله .. لقد تجاوزت هذه المرحلة من الخطر .

كان يشعر بدوار محدود ، نتيجة لما استنشقه من الغاز المخدر ، ولكنه واصل كتم أنفاسه ، وهو ينزلق عبر الجزء المتبقى من الممر ، حتى بلغ نهايته ، ووجد جسمه يندفع عبر فتحة التهوية فى ، القبو إلى قاعة التنظيف الكبيرة ..

وبسرعة ، هب (أدهم) واقفا على قدميه ، وتلفت حوله فى حذر ، قبل أن يغمغم :

- ترى هل أجد ما يعاوننى على النجاة هنا ؟

لم يكن من السهل عليه أن يكتم أنفاسه ، طوال هذه الفترة ، إلا أنه بذل جهدًا خرافيًا ، احتقن له وجهه فى شدة ، وهو يبحث فى قاعة التنظيف عن شىء ما بالتحديد ..

وبرقت عيناه فى ارتياح عندما عثر على بغيته ..

وفى سرعة ، التقط قطعة من القماش النظيف ، وسكب عليها قليلا من النشادر السائل(*) ، الذى عثر عليه ، ولفها حول أنفه وفمه فى إحكام ..

(*) النشادر : مركب من الهيدروجين والنيتروجين ، بنسبة ٣ : ١ وهو غاز لا لون له ، نفاذ الرائحة ، شديد الذوبان فى الماء ، ومحلوله المائى قلوى التأثير ، ويمكن تحضير النشادر السائل عن طريق التحضير الإتلافى للفحم الحجرى ، أو بالوسائل الكيماوية الحديثة ، كخطوة أولى فى عملية تثبيت النيتروجين الجوى ، وأملاح النشادر واسعة الاستعمال فى الصناعة ، والطب ، والزراعة .

كانت رائحة النشادر عنيفة مزعجة ، إلا أنها كانت قادرة على معادلة تأثير الغاز المخدر ، بحيث يمكنه التقاط أنفاسه ، دون أن يفقد وعيه ..

وفى سرعة ، انتزع الخريطة من حزامه ، وفردها أمامه ، وراح يبحث فيها عن طريق الهروب ، الذى انتخبه منذ البداية ..

ومع انهماكه فى دراسة الخريطة ، نسى (أدهم) أمرًا جوهريًا للغاية ..

نسى حالة الصمم المؤقت التى أصابته ..

فمن خلفه ، وفى حذر كامل ، تقدم نحوه اثنان من حراس السجن ، بقناعيهما الواقيين ، وكل منهما يحمل مدفعه الآلى ، ويصوبه إلى ظهره ..

وفى الظروف العادية ، لم يكن من الممكن أبدًا ألا يلتقط (أدهم) وقع أقدام الرجلين ، وألا يشعر بتسللهما نحوه ..

ولكنه ، فى هذه المرة ، لم يكن يسمع شيئًا .

أى شىء ..

ولهذا تقدم الرجلان ، حتى صارا على قيد أمتار ثلاثة منه ، وصوب كل منهما فوهة مدفعه الآلى إلى ظهره ، و ..

وانطلقت الرصاصات فى القبو ..

* * *

انطلق (أدهم) يعدو ، عبر ممر طويل .. طويل ، يبدو وكأنه بلا نهاية ، ومن خلفه انطلق فريق من الرجال ، فى ملابس سوداء مخيفة ، وكل منهم يحمل مدفعًا آليًا ضخمًا ، وراحوا يحاصرونه بخطة محكمة ، حتى لم يعد له من سبيل للفرار ..

وفجأة ، صوّب الجميع مدافعهم الآلية نحوه ..

وانطلقت فى المكان صرخة مذعورة :

- احترس .. احترس يا (أدهم) .

ثم برز (قدرى) ، بجسده الضخم المكتظ ، وهو يعدو بكل قوته نحوه ، مكررًا :

- احترس يا صديقى .

كان الرعب والهلع يملآن كل سنتيمتر من ملامحه ، ولكن هذا لم يمنع الرصاصات من أن تنطلق ..

ومن أن تخترق جسد (أدهم) ، و ...

« لا .. ليس (أدهم) .. ليس (أدهم) .. » ..

انتفض جسد (قدرى) فى عنف ، وهو يطلق تلك الصيحة ، التى انتزعته من كابوسه ، فهبّ من رقاده ، وصرخ :

- (أدهم) .

أسرعت إليه مضيفة الطائرة ؛ لتهدئ من روعه ، وتربّت عليه فى رفق ، قائلة :

- اهدأ يا سيّد (قدرى) .. اهدأ .. كل شىء على ما يرام .

حدّق (قدرى) فى وجهها لحظة ، قبل أن يهتف :

- من أنت ؟ .. وأين أنا ؟ !

منحته ابتسامة رقيقة ، وهى تجيب :

- أنا (هبة) .. مضيفة جوية بشركة (مصر للطيران) ، وأنت على متن طائرة طبية خاصة ، تتجه بك إلى (القاهرة) مباشرة .

هتف مذعورًا :

- إلى (القاهرة) ؟! .. كيف ؟! .. كيف سمحوا لأنفسهم بفعل هذا ؟ ..

كيف ؟

قالها ، وتأوّه فى ألم ، مع الحركة المفاجئة لجرحه ، فعادت تربّت عليه فى رفق وحنان ، قائلة :

- اهدأ يا سيّد (قدرى) .. لقد أخبرونى أن هذا لصالحك ؛ فأنت مصاب ، و ...

قاطعها فى مرارة :

ـ كان ينبغى أن أبقى إلى جواره فى محنته .

سألته فى دهشة :

ـ إلى جوار من ؟!

اغرورقت عيناه بالدموع ، وهو يقول :

ـ إلى جوار أصدق أصدقاء عمرى .. لايمكننى أن أتركه وحده هناك .

تطلعت إليه لحظة فى تعاطف ، قبل أن تسأله فى حنان :

ـ أكان لديك ما يمكن أن تفعله من أجله ؟

حدق فى وجهها بدهشة ، وكأنما لم يتوقع هذا السؤال قط ، وارتسمت الحيرة على ملامحه بضع لحظات ، قبل أن تنحدر من عينيه دمعة ساخنة ، وهو يخفضهما ، متمتمًا :

ـ لست .. لست أدرى .

ابتسمت مشفقة ، وهى تجلس على المقعد المجاور له ، وتميل نحوه ، قائلة :

ـ أنت لم تخطئ فى حقه إذن .. قل لى : أتعتقد أنه من الطراز الذى يمكنه رعاية نفسه بنفسه ؟

هتف فى حماس :

ـ بالتأكيد .. أمثاله يمكنهم رعاية دولة بأكملها .

ضحكت ، قائلة :

ـ ما الذى يقلقك بشأنه إذن ؟

وبدت له ابتسامتها ساحرة ، وهى تضيف :

ـ صحتك هى الأحق بالقلق .

كانت فاتنة ، رقيقة ، جذابة ، إلا أنه لم يستطع التفاعل مع كل هذا ، فلم يكن يملأ عقله وكيانه سوى أمر واحد ..

تُرى ما الذى يواجهه (أدهم) الآن ؟! ..

وكيف سيواجهه ؟! ..

كيف ؟! ..

* * *

لم تكن أذنا (أدهم) قادرة ، فى ذلك الوقت ، على سماع قطار بخارى قديم ، ينطلق نحوه فوق قضبان مهترئه متهالكة قديمة ، ويطلق صفارة تحذير قوية ، لذا فقد اقترب منه الحارسان لمسافة بالغة الخطورة ، لا تتجاوز الأمتار الثلاثة ، وصوّب كلاهما مدفعه إليه ، و ...

ولكن الخلل فى حواس (أدهم) ، كان يقتصر على حاسة السمع وحدها ..

وليس على حاسة البصر ..

ففى نفس اللحظة ، التى شهر فيها الرجلان مدفعيهما ، التقطت عينا (أدهم) ذلك الظل المتحرك ، على الجدار المقابل ..

واستوعبت تمامًا ما يعنيه .

وعندما ضغط الرجلان زنادى مدفعيهما ، وانطلقت رصاصاتهما لتحصد الهدف ، حدث تغيير جوهرى فى الموقف كله ..

لقد اختفى الهدف نفسه من موضع الإصابة ..

اختفى ؛ لأنه انحنى بسرعة مذهلة ، وترك الرصاصات كلها تعبر فوق رأسه ، ثم مال بجسده إلى اليسار ، ووثب كالفهد نحو خصميه ..

وانقلب الموقف رأسًا على عقب ..

صحيح أن الرجلين كانا يحملان السلاح ، وهو أعزل تمامًا ، إلا أن وثبته المدهشة ، والصيحة القتالية التى أطلقها ، كان لهما تأثير مذهل ، انتفض له جسدا الرجلين ، وهما يتراجعان فى رعب حقيقى ، قبل أن تهوى قبضة (أدهم) على معدة أولهما كالقنبلة ، ويدور جسده كله حول نفسه كمروحة آدمية ، لتركل قدمه قناع الرّجل الثانى ، وتلقيه مترين كاملين إلى الخلف ، فيرتطم بالغلاّية الكبيرة ، ويسقط فاقد الوعى .

وفى نفس لحظة سقوطه ، برز خمسة من الحرّاس ، عند مدخل قاعة التنظيف ، وهم يصوبون مدافعهم نحو (أدهم) ..

وبضربة قوية ، انتزع (أدهم) صمام الغلاّية ، فانطلق البخار يغمر المكان بصوت مخيف ، ويصنع حاجزًا بينه وبين الحرّاس الخمسة ، الذين راحوا يطلقون رصاصاتهم فى غضب وإسراف ، فى كل مكان يمكنهم التصويب إليه ..

وبكل سرعته ، انطلق (أدهم) يعدو عبر القاعة ، والبخار يحجبه عن عيونهم ، فى حين تطارده رصاصاتهم فى شراسة ، حتى بلغ فجوة مستديرة فى ركن القاعة ، تغطيها شبكة معدنية كبيرة ..

وبكل ما يملك من قوة ، راح (أدهم) يرفع تلك الشبكة من موضعها ..

كانت شبكة من الصلب ، ثقيلة للغاية ، حتى أنها تحتاج إلى ثلاثة رجال على الأقل لرفعها ، ولكن عضلاته الفولاذية انقبضت بأقوى ما يمكنها ، وبدا صدره وكأنه يوشك على الانفجار ، واحتقن وجهه فى شدة ، وهو يجذب الشبكة الثقيلة ..

ويجذبها ..

ويجذبها ..

وفجأة ، برز أمامه اثنان من الحرّاس ، بعد تجاوزهما حاجز البخار ، وصرخ أحدهما بعبارة لم يسمعها (أدهم)، وهو يشير نحوه ، ثم صوّب الاثنان مدفعيهما الآليين ، و ..

وكان اختبارًا للجرأة وسرعة الاستجابة ..

ففى نفس اللحظة ، التى صوّب فيها الرجلان مدفعيهما ، تخلّى (أدهم) عن الشبكة المعدنية ، وانقضّ عليهما ..

وفى توافق مدهش ، قبض على معصم أحدهما ، ودفعه إلى أعلى ، فى نفس اللحظة التى وثبت فيها قدمه ، لتركل المدفع الآلى فى يد الآخر ..

وانطلقت رصاصات المدفع الأوّل فى سقف القاعة ، فى نفس اللحظة التى برز فيها الحرّاس الثلاثة الآخرون ، ومدافعهم مصوّبة نحوه ..

وبسرعة مدهشة ، ركل (أدهم) أحد الحارسين ، ليدفعه نحو رفاقه الثلاثة ، ثم انتزع المدفع الآلى من يد الآخر ، ولكمه فى معدته ، قبل أن يدور على عقبيه ، ويعدو نحو الفجوة، التى أزاح عنها الشبكة تمامًا ..

وصرخ أحد الحرّاس :



ثم انتزع المدفع الآلى من يد الآخر ، ولكمه فى معدته ، قبل أن يدور على عقبيه ..

- أطلقوا النار .

وقبل أن يتمّ عبارته ، انطلقت رصاصات زميليه نحو (أدهم) ، إلا أن هذا الأخير وثب داخل الفجوة ، وغاص فى مياهها العميقة ..

واندفع الحرّاس الثلاثة نحو الفجوة المكشوفة ، وراحوا يطلقون نيرانهم داخلها ، قبل أن يغمغم أحدهم :

- لم يعد له أثر .

وكان على حق فى قوله هذا ..

لقد اختفى (أدهم) فى قاع الفجوة الكبيرة ..

اختفى تمامًا .

وبلا أثر ..

* * *

أشار (بيرت) بسبّابته إلى نقطة ما ، على خريطة الصيانة ، وهو يقول فى توتر :

- إنها ممرات صرف المياه الزائدة ، من قاعة التنظيف .. إنه يتصوّر أن باستطاعته عبورها إلى المحيط(*)

عقد المفتش (هانكس) حاجبيه ، قائلاً :

(*) تطلّ مدينة (نيويورك) على المحيط الأطلنطى .

- هذا الرجل باستطاعته أن يفعل كل ما يمكن أن يخطر أو لا يخطر ببالك .

التفت إليه (بيرت) ، قائلاً فى صرامة :

- ولكنه بشرى على أيه حال .

قال (هانكس) بسرعة :

- بشرى متفوّق .

أجابه (بيرت) فى عصبية :

- مهما بلغ تفوّقه ، فهو بشرى ، يحتاج إلى الهواء على الأقل .

ثم عاد يشير إلى الخريطة ، مستطردًا :

- وهذا ما لن يحصل عليه داخل أنابيب الصرف ، التى تمتدّ لثلاثمائة متر كاملة ، وتتفرع إلى ثلاثة اتجاهات ، واحد منها فقط يمكن أن يقوده إلى المحيط .

ابتسم (هانكس) فى سخرية ، قائلاً :

- ثق بأنه سيتخذ هذا الاتجاه بالتحديد .

انعقد حاجبا (بيرت) فى غضب ، وهو يقول :

- قل لى أيها المفتش : إلى أى جانب تنتمى بالضبط ؟!.. ألم تنتبه إلى أنك تميل كثيرًا إلى ذلك الرجل ، وتتصوّر أنه قادر على اتخاذ الخطوة الصحيحة دائمًا ؟!

أجابه (هاتكس) فى صرامة :

ـ ليست مجرد تصورات يارجل .. إنه يقين .. هل تصورت أنت أنه اختار حجرة الصيانة عشوائيًا ؟! هل راجعتم خرائط الصيانة ، وتأكدتم من أنه لم يحصل على إحداها ؟! .. هل كنت تظن أن وصوله إلى قبو التنظيف مجرد ضربة حظ ، وأنه عثر على مدخل أنابيب صرف المياه بالصدفة البحتة ؟!

ازداد انعقاد حاجبى (بيرت) فى شدة ، وهو يتطلع إلى الخريطة ، وقد بدا له حديث (هاتكس) منطقيًا للغاية ، ثم غمغم فى خفوت :

ـ إذن فالرجل يعلم إلى أين يتجه بالضبط !

وصمت بضع لحظات ، قبل أن يضيف فى حزم :

ـ ولكن هذا لايعنى أن رئتيه تستطيعان الصمود لفترة طويلة بدون هواء .

أجاب (هاتكس) :

ـ سيجد وسيلة للتغلب على هذا ..

التفت إليه (بيرت) ، قائلاً :

ـ ولو .. حتى لو استطاع كتم أنفاسه طوال المسافة ، فسيجد أمامه فى النهاية مفاجأة ..

ومال نحو (هاتكس) ، مضيفًا فى صرامة :

ـ مفاجأة قاتلة ..

قالها ، وغادر المكان فى خطوات واسعة سريعة .. ودون أن يضيف حرفًا واحدًا ..

* * *

غاص (أدهم) عميقًا فى المياه الباردة المظلمة ، فى فجوة صرف المياه الزائدة ، وراح يسبح عبر الأنابيب الواسعة ، وهو يتحسس طريقه ، حاملاً ذلك المدفع الآلى ، الذى استولى عليه من حارس السجن ..

كان قد انتزع قطعة القماش المبللة بالنشادر عن فمه ، ومازال يكتم أنفاسه ، وصدره يختزن كل ما استنشقه من هواء ، قبل أن يقفز إلى المياه وذراعاه وساقاه يتحركان فى سرعة ومهارة ، ليندفع جسده بأقصى سرعة ممكنة عبر الأنابيب ..

وعندما بلغ النقطة ، التى تتفرع عندها أنابيب الصرف ، كان يعرف هدفه جيدًا ، فاختار ذلك المسار فى أقصى اليمين ، وواصل طريقه عبره فى مرونة ..

وكان الطريق طويلاً بالفعل ..

طويلاً حتى أنه استهلك معظم ما يختزنه صدره من الهواء ، قبل أن يبلغ نهايته ..

وهنا تتضح أهمية تلك التدريبات المكثفة ، التى يواظب

عليها منذ حداثته ، وفائدة ذلك البرنامج المتكامل ، الذى وضعه والده لتدريبه ، قبل أن يتجاوز السادسة من عمره ، والذى ضاعف من قدرة رئتيه على اختزان الهواء ، واستهلاكه ببطء ملحوظ ..

وعندما بلغ العشرين من عمره ، ساعدته هذه التدريبات على كسر الرقم القياسى فى الغوص الطويل تحت الماء ، دون أجهزة معاونة ..

ولأنه لا يخفى أبدًا ، فقد استطاع الاحتفاظ بتلك القدرة المدهشة لرئتيه ، وتنميتها وصقلها ، طوال السنوات التالية ..

وعلى الرغم من أنه ، فى عمره الحالى ، يتفوّق فعليًا على بطل العالم فى الغوص الحر ، إلا أن المسافة كانت أطول مما تصوّر ، حتى أن الهواء قد نفد من رئتيه تمامًا ، قبل أن يصل إلى نهاية الأنبوبة ، و ...

وعلى الضوء الخافت ، المتسلل من القمر ، عبر مياه المحيط ، وقع بصر (أدهم) على نهاية الطريق ..

وانعقد حاجباه فى شدة ..

فهناك ، وعند نهاية الأنبوبة مباشرة ، كانت هناك شبكة من الفولاذ السميك تسدّ الطريق تمامًا ..

شبكة تحمل فى وجودها نهاية مخيفة للصراع ..

وللرجل المستحيل نفسه .

* * *

٦ - القتلة ..

لم يكد رنين الهاتف يرتفع ، فى تلك الشقة الفاخرة ، التى اتخذها (توماس كلارك) مقرًا لاتحاد القتلة ، حتى وثبت يده تلتقط سمّاعته ، وقال فى لهفة :

- من المتحدّث ؟

أتاه صوت (بيرت) ، مفعمًا بالتوتر والعصبية ، وهو يقول :

- أنا (بيرت) .. الموقف هنا معقّد للغاية .

سأله (توماس) فى حدة :

- هل نجح ذلك الرجل فى الفرار منكم ؟

أجابه (بيرت) فى سرعة :

- كلاّ .. لم يفعل هذا بعد ، ولكننا مازلنا عاجزين عن السيطرة على الموقف .

انعقد حاجبا (توماس) فى توتر ، وهو يسأله :

- ماذا تعنى بهذا ؟!. هل يسيطر هو على الموقف ؟!

تردّد (بيرت) لحظة ، قبل أن يجيب :

- ليس بالضبط .

صاح به (توماس) فى غضب :

- أنا أبغض هذا الأسلوب السخيف ، الذى تتحدث به يارجل .. لو أن لديك ما تخبرنا به ، فأفصح عنه دون مواربة .

أجابه (بيرت) على الفور :

- لقد نجح الرجل فى الفرار من رجالى أكثر من مرة ، وهو يحاول الفرار الآن ، عبر أنابيب صرف المياه ، وأظننى أعلم إلى أين سينتهى به هذا .

سأله (توماس) فى حدة :

- ماذا تعنى بأنك تظن هذا ؟

ازدرد (بيرت) لعابه فى توتر ، وقال :

- أقصد أننى واثق من الموضع الذى يتجه إليه يا مستر (توماس) .

ثم استدرك فى سرعة :

- هذا لو نجح فى الوصول إليه .

التقى حاجبا (توماس) ، وهو يقول :

- ألا يمكنك أن تفسر حديثك أكثر يارجل ؟

ازدرد (بيرت) لعابه مرة أخرى ، قبل أن يجيب :

- بالطبع يا مستر (توماس) .. بالطبع .. كل ما أقصده هو أن تلك الأنابيب تمتد لمسافة طويلة ، وربما يلقى مصرعه اختناقًا داخلها ، قبل أن يبلغ

المخرج ، وحتى لو لم يحدث هذا ، فسيجد المخرج مغلقًا بشبكة فولاذية قوية ، تمنعه من الخروج إلى المحيط .

سأله (توماس) :

- أأنت واثق من هذا ؟

أجابه (بيرت) فى حماس متوتر :

- وبالطبع يا مستر (توماس) .. إدارة السجن تعلم أن هذه الأنابيب يمكن أن تصبح منفذًا ، لكل من يحاول الفرار ، ولهذا أغلقتها بشبكة كهذه .

صمت (توماس) بضع لحظات ، وراح عقله يراجع كل ما قرأه فى ملف (أدهم) وكل ما سمعه من السنيورا عن قدراته المتفوقة ، قبل أن يسأل (بيرت) فى حزم :

- أين تنتهى تلك الأنابيب ؟

أجابه (بيرت) :

- على مسافة مائة متر داخل المحيط يا مستر (توماس) ، و سنرسل رجالنا للسيطرة على مخرجها على الفور ، و ...

قاطعه (توماس) فى صرامة :

- كلا .. لا تفعل هذا .

بهت (بيرت) للجواب ، وهتف فى دهشة :

ـ لا أفعل هذا ؟!

أجابه (توماس) صارمًا :

ـ نعم .. لا تفعل هذا .. لا ترسل رجالك إلى منطقة الخروج .. فقط أخبرنا إحداثياتها بالضبط ، وسنتولى نحن الباقى .

ارتبك (بيرت) ، وهو يقول :

ـ ولكن هذه مسئولية يا مستر (توماس) ، ولو لم ..

قاطعه (توماس) مرة أخرى فى غضب :

ـ افعل ما آمرك به يا (بيرت) .. إنك لا تتقاضى ذلك الراتب الشهرى الضخم لتعصى أوامرنا .

احتقن وجه (بيرت) وصوته ، وهو يتمتم :

ـ كما تأمر يا مستر (توماس) .. كما تأمر .

وأنهى إليه بإحداثيات المكان ، قبل أن يعيد السمّاعة إلى موضعها ، فى حين ظلّ (توماس) ممسكًا بسمّاعة هاتفه بضع لحظات ، قبل أن يهتف مناديًا زميله (تشارلز دار) ، الذى هرع إليه ، قائلاً :

ـ هل استجدّ جديد ؟

مدّ (توماس) يده إليه بورقة تحوى إحداثيات مخرج الأنابيب ، وهو يقول :

ـ هذا هو الموضع ، الذى سيظهر عنده (أدهم

صبرى) ، إذا ما نجح فى الفرار من السجن .

قرأ (تشارلز) الإحداثيات بسرعة ، قبل أن يقول فى دهشة :

ـ وكيف عرفت هذا ؟

أجابه (توماس) :

ـ سأشرح لك كل هذا فيما بعد ، أما الآن ، فخذ الفريق الذى انتخبناه أمس ، واذهبوا للقاء الرجل هناك .

مطّ (تشارلز) شفتيه ، وهو يقول :

ـ الأمر لا يحتاج إلى فريق يا (توم) .. كل ما أحتاج إليه هو زورق بخارى ، وعندما يظهر ذلك الرجل ، سأنسف رأسه برصاصات مدفعى ، و ...

قاطعه (توماس) فى صرامة :

ـ استدع الفريق يا (تشارلز) .. لا داعى لأن نكرّر الخطأ نفسه مرتين .. لا أريد أدنى احتمال للفشل هذه المرة ..

انعقد حاجبا (تشارلز) فى ضيق ، ولكنه ، وبناءً على أسلوب العمل المتفق عليه ، لم يحاول الاعتراض هذه المرة ، وهو يقول :

ـ كما ترى يا (توم) .. كما ترى .

والتقط سماعة الهاتف ، ليجرى اتصالاته ، فى تلك الساعة المتأخرة ، بأفراد فريق القتل ، الذين يمثلون نصف أعضاء الاتحاد ..

اتحاد القتلة ..

* * *

كل ثانية تمضى كان لها ثمنها ، فى تلك اللحظات العصيبة ..

مخزون الهواء فى رئتى (أدهم) نفد كله تقريبًا ..

والتعب قد بلغ منه مبلغه ..

والطريق مغلق أمامه بشبكة قوية من الصلب ..

وما من سبيل آخر للخروج من المكان ..

ولم يكن الأمر بحاجة إلى الكثير من التفكير ؛ إذ لم تكن أمام (أدهم) سوى طريقة واحدة ..

أو محاولة واحدة للنجاة ..

وبلا تردُّد ، صوَّب المدفع الآلى إلى حافة الشبكة ..

وأطلق النار ..

كانت قوة ارتداد المدفع الآلى عنيفة ، فى قلب المياه ، مما دفع جسده إلى الخلف لمترين كاملين ..

ولكن الرصاصات أصابت جانب الشبكة ، عند ذلك الجزء الذى يثبتها بجوانب الأنبوبة ..

ودون أن يضيع ثانية واحدة ، سبح (أدهم) نحو الشبكة ، ودفع ماسورة المدفع بين فتحاتها ، ثم أسند ظهره إلى الجدار ، ودفع قدميه فى الجدار المقابل ، وراح يضغط ..

وبكل قوته ..

لم يكن الأمر هيِّنًا أو بسيطًا ، إنما احتاج منه إلى جهد خرافى ، استهلك البقية الباقية من الهواء فى صدره ، قبل أن ينفصل جانب الشبكة عن جدار الأنبوبة ، ويترك فجوة كافية لعبوره ..

واختنق صدره بشدة ، وكادت رئتاه تنفجران ، وهو يعبر تلك الفجوة ، ثم يضرب الماء بذراعيه وساقيه ، فى محاولة للصعود إلى السطح ، قبل أن ينهار جسده ، مع النقص الشديد فى الأكسجين ..

والواقع أنه فى هذا الموقف بالتحديد تجلت قوة الإرادة الفولاذية ، التى يتمتَّع بها رجل مثل (أدهم صبرى) ..

لقد بذل جهدًا خرافيًا ، منذ هاجم ذلك الحارس ، فى حجرة اللقاءات الخاصة ، وواجه الخطر تلو الآخر ، ثم انتهى به الأمر إلى ذلك الموقف العصيب ، دون أن يتطرق اليأس إلى نفسه لحظة واحدة ..

ودون أن يفقد الأمل فى النجاة قط ..

حتى فى تلك اللحظة ، عندما غـامت الدنيـا أمـام عينيه ، وأوشك على الوقوع فـى غيبوبـة عميقـة ، مـع النقص الحاد فى الأكسجين ، لم ينجح اليأس فى التسلل إلى عروقه أبدًا ..

ثم برز رأسه على السطح بغتة ، وتدفق الهواء عبر أنفه ، ليملأ رئتيه اللتين شارفتا الانطباق ..

وربما كان هذا أجمل هواء استنشقه فى حياته كلها .

لأنه هواء الحياة ، الذى ملأ صدره ، وأيقظ عقلـه ، وأعاده إلى عالم الأحيـاء ، لتنتعش حواسـه كلها دفعة واحدة ..

وهواء الحرية ، الذى يعنى أنه نجح ..

ونجا ..

ولدقيقـة كاملـة أو يزيـد ، تـرك (أدهـم) جسـده يسترخى ، ويتمدد فوق مياه المحيط ، وراح يتطلع إلى القمر فى صمت ، ليستعيد نشاطه وقوته ، ويضع خطـة الساعات القادمة ..

من المؤكد أن خروجـه مـن هـذا المـأزق لا يعنـى أن المشكلة قد انتهت ..

سيدرس رجال الأمن فى السجن الأمر ، وسيستنتجون حتمـا أن هـذا هـو السبيل الوحيـد أمامه للفرار ، ولن

تمضى دقائق معدودة ، حتى يجدهم حوله فى كل مكان ..

وحتى لو نجح فى الإفلات منهم ، فما زالت القضية الرئيسية أمامه ..

مازال السفير المصرى مختطفًا ..

وكذلك (منى) ..

ولم يكد يصل بتفكيره إلى هذه النقطة بالتحديد ، حتى انعقد حاجباه فى شدة ، وعاودته تلك الموجـة الكاسحة من الغضب ..

إذن فأولئك الأوغاد قرروا اللجوء إلى الجـانب القذر للعبة ..

واختاروا (منى) كسلاح لتحطيمه ..

اختاروها ؛ لأنهم يعلمون أنهـا المخلـوق الوحيد فـى الكون كله ، الذى لن يتردد لحظـة واحـدة فـى التضحية بحياته نفسها من أجله ..

ولكنهم سيندمون على خطوتهم هذه ..

لقد أقسم أن يدفعوا ثمنًا فادحًا ؛ لأنهم فكروا فى هذا .

ولأنهم أقدموا عليه ..

ومع صـورة (منى) ، التى تعاظمت ، لتملأ كيانـه كله ، وتحيط بقلبه ، الـذى خفـق مـن أجلهـا فـى قـوة ، استعاد (أدهم) حزمه ونشاطه وحماسه وقوته ، وراح

يضرب الماء بذراعيه ؛ ليسبح مبتعدًا عن المكان ، قبل أن يصل حرّاس السجن ..

ومن المؤكّد أنه استعاد الكثير من حاسة السمع أيضًا ..

هذا ، لأنه سمع فى وضوح هدير الزورق البخارى ، الذى يتجه نحوه مباشرة ، والذى ضمّ ثلاثة من القتلة المحترفين ..

(تشارلز دار) و (تونى ويلكوكس) ، خبيرا الأسلحة .

و (آرثر ميلوسكى) ، خبير المتفجرات والمفرقعات .

وفى نفس اللحظة ، التى التقطت فيها أذناه هدير الزورق ، كان (تشارلز دار) يراقبه عبر المنظار المقرّب لبندقيته ، المزوّد بجهاز خاص للرؤية الليلية ، ويغمغم فى جذل ظافر :

ـ ها هوذا .

تبادل زملاؤه الأربعة نظرة سريعة ، قبل أن يغمغم (آرثر) :

ـ إذن فقد نجا .

أجابه (تونى) فى صرامة :

ـ موقتًا .

ثم أدار عينيه إلى (تشارلز) ، مستطردًا فى حزم :

ـ أمازلت تراه فى وضوح ؟

أومأ (تشارلز) برأسه إيجابًا ، فانعقد حاجبا (تونى) ، وقال :

ـ فيم انتظارك إذن ؟

ارتسمت على شفتى (تشارلز) ابتسامة واثقة ساخرة ، وهو يقول :

ـ على الرحب والسعة .

وضغط زناد البندقية ..

* * *

انعقد حاجبا المفتش (هانكس) فى شدة ، وهو يرمق (بيرت) بنظرة غاضبة ، قائلاً فى حدة :

ـ ما الذى تعنيه بأنك لن تبلغ رؤساءك بأمر فرار الرجل ، عبر أنابيب صرف المياه ؟!.. المفترض أن يتمّ إرسال فريق لاستقباله ، عند مخرج الأنابيب .

قال (بيرت) فى عصبية :

ـ لن يمكنه الوصول إلى المخرج حيًا ..

هتف (هانكس) :

ـ ليس من حقك أن تقرّر هذا .. أبلغ رؤساءك فحسب ، ودعهم يتخذون ما يرونه مناسبًا .

أشار (بيرت) إلى صدره ، قائلاً فى حدة :

ـ أى رؤساء ؟ .. أنا رئيس الأمن هنا ، والمسئول الأول عن سلامة الجميع ، وعن النظام والقوانين فى السجن ، وأنا وحدى أقرّر ما ينبغى فعله .

صاح به (هاتكس) :

ـ فليكن يارجل ، ولكن الشخص الذى يملك وحده اتخاذ القرار ، يتحمّل وحده كل عواقبه أيضًا .

هتف (بيرت) بدوره :

ـ بالضبط ، وأنا مستعد لتحمّل كل العواقب أيها المفتش ، وسأتخذ كل القرارات ، وأوّلها قرار كان ينبغى أن أتخذه منذ البداية .

والتفت إلى أحد رجاله ، مستطردًا فى غضب :

ـ اصطحب المفتش (هاتكس) إلى حجرة التحقيقات الداخلية ، وأغلقها عليه فى إحكام ، وضع أمامها اثنين من أقوى رجالنا .

هتف (هاتكس) مستنكرًا فى دهشة :

ـ هل تجرؤ على سجنى يا رجل ؟

استدار إليه (بيرت) ، وانعقد حاجباه على نحو مخيف ، وأطلّت شرور الدنيا كلها من عينيه ، وهو يقول ، مكملاً حديثه مع الحارس :

ـ ومر الرجلين بنسف رأس مفتشنا العزيز ، لو

حاول ـ مجرّد محاولة ـ أن يغادر حجرة التحقيقات الداخلية .. هل سمعتنى جيدًا ؟

بدا الغضب على وجه المفتش (هاتكس) ، وأطلّ من عينيه ، وفى صوته المختنق ، وهو يقول :

ـ فليكن يارجل .. هذا الموقف لن يستمر إلى الأبد ، وسينتهى إن عاجلاً أو آجلاً ، وعندئذ سيكون عليك أن تراجع حياتك السابقة كلها ، فسأتحرّى عن كل خطوة خطوتها ، منذ تعلّمت المشى ، ولو وجدت ثغرة واحدة ، فأقسم أن أجعلك تدفع ثمنها غاليًا .

احتقن وجه (بيرت) ، وهو يصرخ فى ثورة :

ـ أخرجوه من هنا

دفع الحارس (هاتكس) أمامه فى قسوة وخشونة ، فى حين تنحنح حارس آخر فى حرج ، قبل أن يتمتم :

ـ الواقع يا سيّدى أنه توجد بعض الحقيقة فيما يقول ، فمن المنطقى أن نرسل فريقًا من رجالنا إلى حيث المخرج ، و ...

قاطعه (بيرت) فى غضب :

ـ قل لى يارجل : من يمتلك سلطة إصدار القرار هنا ؟ هل تتصوّر أن ذلك الرجل من القوة ، بحيث يمكنه أن يظلّ حيًا ، حتى يبلغ المخرج ؟

بدا التردد على الحارس ، وهو يغمغم :
- من يدرى ؟ .. ربما لو ...
قاطعه (بيرت) فى حدة :
- أنا واثق من أنه لن ينجح فى هذا .. ولو فعلها سيمنعه الحاجز ..
نطقها بلهجة لم تنجح حتى فى إقناعه هو ..
ففى أعماقه ، لم يعد (بيرت) واثقا من أن أى شىء يمكن أن يقف فى سبيل (أدهم صبرى) ..
أى شىء ..

* * *

فى نفس اللحظة ، التى ضغط فيها (تشارلز) زناد بندقيته ، غاص (أدهم) بغتة فى مياه المحيط ..
وانعقد حاجبا القاتل المحترف ، عندما طاشت رصاصته ، وغاصت فى الماء ، دون أن تصيب هدفها ..
وفى حدة ، هتف :
- اللعنة !
تبادل (تونى) و(آرثر) نظرة شديدة التوتر ، قبل أن يسأل الأخير :
- ماذا حدث ؟! .. هل أخطأته ؟
أجابه (تشارلز) فى عصبية :

- لقد غاص فى الماء ، قبل أن أضغط الزناد بجزء من الثانية .
هبّ (تونى ويلكوكس) يلتقط بندقيته بدوره ، وهو يقول :
- هذا الوغد محظوظ بحق .
هزّ (تشارلز) رأسه نفيًا ، وقال فى انفعال :
- لست أعتقد أنها مسألة حظ يارجل .. لقد سمع صوت محرك الزورق ، والتفت إلينا ، ورأى بندقيتى مصوبة إليه ، و ...
قاطعه (آرثر) فى عنف :
- أى قول هذا يارجل ؟ .. هل تعتقد أن سرعة استجابة هذا الرجل تفوق سرعة استجابتك كقاتل محترف ؟!
أجابه (تشارلز) :
- ملفه يؤكد أنه يمتلك سرعة استجابة مدهشة .
هتف (آرثر) :
- ليس إلى هذا الحد .
قالها ، وهو يقود الزورق نحو البقعة ، التى غاص فيها (أدهم) ، وراح يدور حولها فى بطء ، ويراقب سطح الماء على ضوء القمر ، قبل أن يسأل فى حيرة :

ـ قل لى يا (تشارلز) : أأنت واثق فى أن رصاصتك لم تقتله ؟! .. من المستحيل أن يبقى تحت سطح الماء كل هذا الوقت .

رفع (تونى ويلكوكس) بندقيته المزوّدة بكاتم للصوت ، ومنظار للرؤية الليلية إلى عينيه ، وراح يدور فيما حوله ، مستخدمًا المنظار فى البحث عن (أدهم) ، وهو يغمغم :

ـ ربما سبح تحت الماء مبتعدًا ، ولكنه لن يذهب بعيدًا بالتأكيد .

انعقد حاجبا (تشارلز) ،وهو يغمغم :

ـ لو أن ما قرأناه فى ملفه صحيح ، فهو لن يبتعد عن هنا .

سأله (آرثر) فى قلق :

ـ هل تعتقد هذا ؟

أومأ (تشارلز) برأسه إيجابًا ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ بالتأكيد ، فمثله سيدرك فورًا أن محاولات الفرار ستجعله هدفًا أسهل ، وسترهقه أكثر وأكثر ، وأن أفضل ما يفعله ، فى موقف كهذا ، هو أن يطبّق مبدأ (نابليون) .

انعقد حاجبا (آرثر) فى تساؤل ، وغمغم (تونى) :

ـ مبدأ (نابليون) ؟!

أومأ (تشارلز) برأسه إيجابًا ثانية ، وهو يقول :

ـ نعم .. الهجوم خير وسيلة للدفاع .

لم يكد ينطق عبارته ، وقبل حتى أن ينتهى من حروف كلمتها الأخيرة ، برز (أدهم) بغتة من تحت الماء ، وقبض على بندقية (تونى) ، وجذبه معه إلى مياه المحيط ، وغاص الاثنان تحت الماء فى سرعة مدهشة ، جعلت (آرثر) يصرخ :

ـ ياللشيطان !.. إنه يهاجم بالفعل .

استدار (تشارلز) بسرعة مدهشة إلى حيث غاص (أدهم) و (تونى) ، وأطلق رصاصات بندقيته ، فصاح به (آرثر) :

ـ هل جننت يا رجل ؟!.. (تونى) معه بأسفل .

صاح (تشارلز) :

ـ لولم أفعل هذا للحقنا به هناك .

اتسعت عينا (آرثر) فى ارتياع ، إلا أنه لم يعترض ، وراح يحدّق فى سطح الماء ، قبل أن يهتف :

ـ انتظر ..

التفت إليه (تشارلز) فى حدة ، فأردف ملوّحًا بيده :

ـ لقد اقتنعت بوجهة نظرك .. من الخطأ أن نحاول

برز (أدهم) بغتة من تحت الماء ، وقبض على بندقية (تونى) ، وجذبه معه إلى مياه المحيط ..

إنقاذ (تونى) الآن .. الأكثر أهمية أن نقضى على ذلك الرجل .

قالها ، وهو يلتقط من حقيبته جسمًا معدنيًا ، أشبه بكرة تنس ، فسأله (تشارلز) فى عصبية :

ـ ما هذا بالضبط ؟

أجابه (آرثر) فى حزم :

ـ كنت أتوقَّع موقفًا كهذا ، فأحضرت بعض قنابل الأعماق .

نطق عبارته ، وهو ينتزع فتيل قنبلة الأعماق ، ثم يلقيها فى الماء ، مستطردًا فى صرامة :

ـ فليكن .. احتفظ بصديقتنا (تونى) فى الأعماق أيها المصرى ، ولتصعد روحاكما معًا إلى الجحيم ..

وفى الأعماق دوى الانفجار ..

انفجار يكفى للقضاء على أى مخلوق حى ، تحت سطح الماء ..

أى مخلوق بلا استثناء .

* * *



٧ - ساعات الخطر

ارتسم الغضب بأبشع صوره ، على وجه الجنرال (تورنسول) ، وهو يهتف في وجه الضابط المسئول عن مركز الأسلحة التجريبية :

- ماذا تعني بأنك لا تستطيع منحي الأسلحة المطلوبة أيها الملازم ؟! ..

كيف تجرؤ على عصيان أمر رئيسك على هذا النحو ؟

زفر الملازم في حدة ، قبل أن يشدّ قامته أكثر ، ويقول :

- تقبّل أسفي واعتذاري يا سيّدي الجنرال ، ولكن التعليمات مشدّدة للغاية في هذا الشأن ، وخصوصًا مع الأسلحة التجريبية الحديثة ، مثل مشروع (السوبرمان) ، ومن المحتّم أن أتلقّى موافقة السيّد وزير الدفاع شخصيًا ، أو ..

قاطعه (تورنسول) في عصبية :

- سأتحمّل المسئولية كلها .

تردّد الملازم بضع لحظات ، قبل أن يقول :

- معذرة يا سيّدي الجنرال ، ولكن ..

تقافزت شياطين الغضب من عيني (تورنسول) ، وهو يستلّ مسدسه من غمده ، ويلوّح به في وجه الملازم ، صارخًا :

- لا يوجد لكن أيها الملازم .. إنها حالة طوارئ قصوى ، وستسلمني هذه الأسلحة فورًا ، وإلا نسفت رأسك .. هل تفهم ؟

امتقع وجه الملازم ، وهو يتراجع ، قائلاً :

- سيّدي الجنرال .. هذا مخالف للقوانين ، و ...

قاطعه (تورنسول) في غضب أكثر :

- إذن فأنت لم تفهم ..

تراجع الملازم مرة أخرى ، وازداد وجهه شحوبًا وامتقاعًا ، وانفرجت شفتاه ، وكأنه يهمّ بقول شيء ما ، ثم لم يلبث أن ضمّهما ، وزفر مرة أخرى في حرارة ، قبل أن يقول :

- فليكن يا سيّدي الجنرال .. إنك لم تترك لي الخيار .. سأسلمك مشروع (السوبرمان) كله ، ولكنني سأقدّم تقريرًا لإخلاء مسئوليتي ، أقرّر فيه أنك استوليت على زي وأسلحة المشروع بالقوة .

انعقد حاجبا (تورنسول) في شدة ، مع هذا التهديد الصريح ، وارتسمت أمام عينيه صورة وهمية لما

يمكن أن يصنعه هذا بمستقبله ، وانطلق عقله يبحث عن مخـرج من هـذا الموقف ، دون أن يريـق مـاء وجهه ، و ..

وجاء المخرج بغتة ، وعلى نحو غير متوقَّع ..

لقد اندفع إليه (جاك) بغتة ، وهو يقول فى انفعال ملحوظ :

ـ سيدى الجنرال .. لقد حدث تطوّر غير متوقَّع .

استدار إليه (تورنسول) فـى توتـر شديد ، فانحنى (جاك) على أذنه ، هامسًا :

ـ جاسوسنا فى السجن أبلغنى أن الهدف لقى مصرعه .

انتفض جسد (تورنسول) فى عنف ، وهو يهتف :

ـ ماذا ؟!

تابع (جاك) فى سرعة :

ـ إنه يؤكد هذا ، ويشير إلى وقوع انفجار ما فى المحيط ، على مسافة بضع عشرات من الأمتار من السجن ، وأن فريقًا من الحرّاس خرج لاستطلاع الأمر ، وعثر على جثته ممزّقة .

انعقد حاجبا (تورنسول) أكثر وأكثر ، وامتلأ جسده بتوتر وانفعال لا حصر لهما ، مع صرخة شك في أعماقه ، تعربد بلا توقف ..

أيمكن أن يلقى (أدهم صبرى) مصرعه على هذا النحو ؟! ..

أيمكن أن ينجح فى الفرار من السجن المركزى ، بكل أسواره وقضبانه ، ونظم أمنه الحديثة المعقدة ، ثم يقتله انفجار عادى ؟! ..

ثم من أين جاء ذلك الانفجار ؟ وكيف حدث ؟! ..

انطلقت عشرات الأسئلة فى رأسه ، وألجمت لسانه ، فخفض يده الممسكة بالمسدس فى حركة آلية ، وازداد انعقاد حاجبيه حتى كادا يمتزجان ببعضهما ، وخاصة عندما انزاحت كل الأسئلة جانبًا ، وبقى سؤال واحد ، يملأ كيانه كله ..

تُرى هل لقى (أدهم) مصرعه بالفعل ؟!..

هل ؟!..

* * *

من المؤكد أن وجود ذلك الزورق ، بالقتلة الثلاثة على متنه ، كان مثار دهشة (أدهم) وحيرته ..

ولكن من المؤكد أيضًا أنه ما من دهشة ، مهما بلغت قوتها ، يمكنها أن تُفقد رجلاً مثله القدرة على التفكير السليم ، وحسن معالجة الأمور ..

لقد لمح (أدهم) الزورق ، والبندقية التى يصوبها

إليه (تشارلز) فى ضوء القمر ، فغاص فى مياه
المحيط فى سرعة ، واختفى عن بصر هذا الأخير ، فى
نفس اللحظة التى أطلق فيها رصاصته ..

وعلى الرغم من الفترة الطويلة ، التى قضاها تحت
سطح الماء ، وهو يجاهد للفرار من سجنه ، استطاع
(أدهم) كتمان أنفاسه لفترة أخرى ، حتى اقترب
الزورق البخارى من موضعه ، وراح يدور حول النقطة
التى غاص فيها ..

وفى حذر ، ارتفع (أدهم) بجسده ، إلى قرب السطح ،
ولمح (تونى) ممسكا بندقيته محاولاً البحث عنه ،
بوساطة المنظار المجهز للرؤية الليلية ، فدفع جسده
إلى أعلى ، وانقض عليه ، وجذبه معه إلى الماء ..

وكانت مفاجأة حقيقية لـ (تونى) ، إلا أنه ، وعلى
الرغم من هذا ، تصرف بسرعة مدهشة ، كأى محترف
حقيقى ، وأدار فوهة بندقيته ، محاولاً إطلاق النار على
(أدهم) ، تحت سطح الماء ، إلا أن (أدهم) أبعد
فوهة البندقية عنه فى حركة سريعة ، ثم لوى ذراع
الرجل خلف ظهره ، ودفعه إلى الأمام ..

كان قد فقد المدفع الآلى ، مع خروجه من أنابيب
الصرف ، فانتزع البندقية من يد (تونى) فى قوة ،
على الرغم من المقاومة المستميتة لهذا الأخير ، الذى

دار حول نفسه ، وقبض بأصابعه القوية على عنق
(أدهم) ..

وفى نفس اللحظة ، لمح (أدهم) القنبلة ..

قنبلة الأعماق ، التى ألقاها (آرثر) خلفهما ،
ليقضى عليهما معًا ..

وكعادة (أدهم) ، اشتعلت سرعة استجابته ، وبلغت
حدها الأقصى فى جزء من عشرة أجزاء من الثانية ،
فاستجمع قوته ، ودفع قدميه فى صدر (تونى) ،
وقبض على معصمه بأصابع فولاذية ، وانتزع يده عن
عنقه ، قبل أن يضرب صدره فى قوة ، فيلقيه بعيدًا
عنه ، ويضرب الماء بذراعيه وساقيه بكل قوته ،
محاولاً الابتعاد عن المكان ، و ...

ودوى الانفجار فى الأعماق ..

انفجار عنيف ، مزق جسد القاتل المحترف ، الذى
تلقى قوته كلها ، فى نفس اللحظة التى لحقت فيها
موجته التضاغطية القوية بجسد (أدهم) ، فدفعته إلى
الأمام فى عنف ، وكادت تمزق أذنيه ، لولا أن غطاهما
بكفيه بكل قوته ، وضم ركبتيه إلى صدره ، واستسلم
لقوة الدفع تمامًا ، فى محاولة لتقليل أثرها إلى أهون
حد ممكن ، كما تعلم فى تدريبات الغوص ، منذ أكثر من
عشرين عامًا مضت ..

وعلى الرغم من ابتعاده عن مركز الانفجار لمسافة معقولة ، ومن الإجراء السريع الدقيق الذى اتخذه ، إلا أن صدره كاد يتمزق من شدة الانفجار ، وانطلق صفير عنيف فى أذنيه ، كاد يخترق رأسه ، مع صراع مباغت رهيب ، استغرق ثوان معدودة ، قبل أن يهدأ الموقف كله ، وتتلاشى الأعراض كلها دفعة واحدة ..

ولثوان أخرى ، خُيِّل لـ (أدهم) أنه يسبح فى بحر من الصمت والسكون ، أو أن حركة العالم كله قد توقفت بغتة ، فصار أشبه بلقطة جامدة ، على مسرح الحياة ..

ثم استعادت حواسه كلها نشاطها دفعة واحدة ..

كان قد بذل ، خلال ما يزيد قليلاً على الساعة ، جهدًا خرافيًا ، يفوق قدرات أى بشرى عادى ، إلا أنه ، وعلى الرغم من هذا ، كان يدرك جيدًا أن معركته لم تنته بعد ..

ونظرة واحدة إلى الزورق البخارى ، الذى يدور حول المكان ، كانت تكفى لتأكيد هذا الأمر ..

وعلى متن هذا الزورق ، كان (تشارلز) شديد التوتر ، يقول فى عصبية :

ـ لا يمكننى هضم ما فعلته يا (آرثر) .. لقد قتلت

زميلاً لنا بلا تردُّد .. لو علم (توماس) بهذا سيثور ثورة عارمة .

أجابه (آرثر) فى خشونة :

ـ فليضرب (توماس) رأسه بالجدار لو أراد ، ولكنها كانت الوسيلة الوحيدة لدينا ، للتخلص من الهدف .

صاح (تشارلز) فى غضب :

ـ أى هدف ؟! .. لقد نسفتهما معًا .. (تونى) وذلك المصرى ..

صرخ (آرثر) :

ـ ألم تفهم بعد يارجل ؟! .. هل نسيت ما قرأناه فى ملف ذلك المصرى ؟! .. لقد انتهى أمر (تونى) بالفعل ، عندما ظفر به (أدهم) هذا .. كل ما فعلته أنا هو أننى سحقت القط والفأر معًا بضربة واحدة ، بدلاً من أن أنتظر لمعرفة أيهما سيفوز ، ثم أخسر الاثنين ، ومعهما حياتى وحياتك أيضًا .

صاح (تشارلز) .

ـ ألم تضع فى اعتبارك أدنى احتمال لفوز (تونى) ؟

أطلق (آرثر) ضحكة ساخرة عصبية ، قبل أن يقول :

ـ فوزه ؟! .. من الواضح أنك لم تعد تصلح للعمل يارجل .. صحيح أن (تونى) كان خبيرًا بكل أنواع الأسلحة ، إلا أنه ، بالنسبة للقتال اليدوى المباشر ،

لا يمكنه أن يتفوّق على متشرّد من (هارلم)(*) ، فما بالك بمحترف من الطراز الأوّل ، مثل (أدهم) هذا ؟!

انعقد حاجبا (تشارلز) محاولاً استيعاب هذا المنطق ، قبل أن يقول فى تردُّد :

- ربما كان هذا صحيحًا ، ولكن ..

قاطعه (آرثر) فى حزم :

- لكن ماذا ؟ .. ها هى ذى النتائج أمامك واضحة .. صحيح أن قنبلتى سحقت عزيزنا (تونى) ، ولكننا سنقيم له بالتأكيد حفل تأبين رائعًا ، وستحصل أرملته على رقم من ستة أصفار ، يعوّضها عن فقده ، طبقًا لقانون الاتحاد ، وأراهنك على أنه لن يمضى عام واحد ، حتى تكون قد تزوّجت شابًا أفضل وأكثر وسامة منه ، ولكن الأكثر أهمية هو أن القنبلة لم تسحق (تونى) وحده ، وإنما سحقت معه ذلك المصرى ، الذى ..

قاطعه فجأة صوت ساخر ، يقول :

- وربما لم تفعل .

استدار (آرثر) بسرعة مدهشة إلى مصدر الصوت ، فى نفس اللحظة التى وثب فيها (أدهم) داخل الزورق ، وركله ركلة مباشرة قوية فى أنفه ، قبل أن يستدير لمواجهة (تشارلز) ، الذى التفت إليه ببندقيته ، هاتفًا :

(*) هارلم : حى الزنوج فى (نيويورك) .

- مستحيل ! .. المفترض أن تقتلك القنبلة .

أزاح (أدهم) البندقية بضربة سريعة من راحته اليسرى ، وهو يقول :

- تقدّم بشكوى ضدها .

ثم هوى على فك (تشارلز) بلكمة كالقنبلة ، مستطردًا :

- أو ضد من ألقاها .

سقط (تشارلز) داخل الزورق ، فى نفس اللحظة التى التقط فيها (آرثر) قنبلة ، وصرخ وهو يحاول جذب صمام الأمان منها :

- من ألقاها سيتحفك بأخرى ، تسحقك سحقًا .

دار (أدهم) حول نفسه فى سرعة ورشاقة ، وركل القنبلة من يده ، قبل أن ينتزع الصمام منها ، فأطاح بها بعيدًا ، لتسقط فى المحيط ، ثم ركله فى فكه بالقدم نفسها ، قائلاً فى سخرية :

- هذا لو وجد الوقت الكافى ليفعل .

ارتطم رأس (آرثر) بحاجز الزورق ، إثر ركلة (أدهم) فسقط فاقد الوعى ، فى حين حاول (تشارلز) النهوض ، وهو يهتف ، والدم يتناثر من بين شفتيه :

- لا يمكنك أن تفعل بنا هذا .. لا يمكنك .

قبض (أدهم) على ياقة سترة (تشارلز) ، وجذبه منها فى قوة أجبرته على النهوض ، والوقوف على قدميه ، وهو يسأله فى صرامة مخيفة :

- من أرسلكم لقتلى ؟

ارتجفت أوصال (تشارلز) ، وحاول أن يبتسم ، متظاهرًا باللامبالاة ، وهو يقول فى عصبية :

- هل تتوقَّع منى أن أخبرك ؟

جاءت كلماته خائفة مرتجفة ، على الرغم منه ، فمال (أدهم) نحوه ، وضمّ قبضته فى قوة ، وهو يتطلَّع إلى عينيه مباشرة بنظرة قاسية مخيفة ، قائلاً :

- نعم .. أتوقَّع منك أن تفعل ، قبل أن أجبرك على هذا ، بعد تحطيم صف أسنانك الأمامية ، وسحق أنفك ، وربما ماهو أكثر .

شحب وجه (تشارلز) فى شدة ، على الرغم من اعتياده مواجهة المخاطر ، وبذل جهدًا خرافيًا ؛ ليقول بصوت مختنق متحشرج :

- لا تنس أننى محترف .

وانتفض جسده فى رعب ، عندما أجابه (أدهم) بلهجة صارمة ، تكفى لتجميد الدماء فى عروق أشجع الفرسان :

- وأنا كذلك .

وارتجفت شفتاه لحظة ، قبل أن يغمغم فى شحوب :

- إنها .. إنها السنيورا .

سرت موجة من الغضب فى عروق (أدهم) ، عندما سمع الجواب ، وسأل الرجل فى صرامة ممتزجة بالغضب :

- أين هذه السنيورا ؟ .. كيف تلقيتم الأوامر منها ؟

أجابه (تشارلز) بسرعة :

- لست أدرى .. لم ألتق بها ، أو أتلق منها الأوامر قط .. إنه (توماس) الذى التقى بها هناك ، فى قصرها ، و ...

قاطعه (أدهم) :

- فى قصرها ؟! .. أين هذا القصر ؟!

انفرجت شفتا (تشارلز) ، وهمّ بإجابة السؤال ، عندما ارتفع فجأة صوت (آرثر) ، وهو يقول فى غضب :

- إياك أن تخبره .

التفت (أدهم) فى سرعة إلى مصدر الصوت ، ورأى (آرثر) يختطف بندقية (تشارلز) ، ويصوّبها إليه ، صارخًا :

- قبل أن أرسله إلى الجحيم .

انحنى (أدهم) فى سرعة مدهشة ، وتفادى الطلق النارى ، الذى خرج من فوهة البندقية ، ثم ركلها من يد (آرثر) ، قائلا :

- أمثالى لا يذهبون فى المعتاد إلى الجحيم يارجل .

تراجع (آرثر) فى حركة غريزية ، فى نفس اللحظة التى انقض فيها (تشارلز) على (أدهم) ، وطوقه بذراعيه ، صارخًا :

- اقتله يا (آرثر) .. اقتله .

دفع (أدهم) مرفقه إلى الخلف بكل قوته ، وغاص به فى معدة (تشارلز) ، ثم أدار يده الأخرى إلى ما وراء ظهره ، وقبض على عنق هذا الأخير ، ومال إلى الأمام فى سرعة وبراعة ، ليلقى به فى عنف ، فوق (آرثر) ، الذى صرخ فى جنون :

- لن تنتصر أيها المصرى .. لن تنتصر أبدًا .

قالها ، وهو ينتزع من حزامه قنبلة ، ويجذب صمام الأمان بها ، ثم يلقيها نحو (أدهم) ، الذى استقبلها بركلة محدودة ، أعادتها إلى مرسلها ، فارتطمت بصدر (آرثر) ، وسقطت عند قدميه ، و (تشارلز) يصرخ فى رعب هائل :

- ماذا فعلت أيها المجنون ؟

ومع صرخته ، وثب (أدهم) خارج الزورق ، و ...

ودوى الانفجار ..

انفجار أطاح بالزورق ، والقاتلين المحترفين ، ودفع جسد (أدهم) ثلاثة أمتار فى الهواء ، قبل أن يسقط فى الماء ، وآلام رهيبة تصرخ فى ظهره ، ورأسه يدور فى شدة ..

وعلى الرغم من المياه الباردة ، التى غاص فيها لثلاثة أمتار كاملة ، قبل أن يجاهد للعودة إلى السطح ، لم ينتعش ذهنه ، ولم يعد أبدًا إلى صفائه ، مع قوة وعنف الانفجار ، وراح يضرب الماء بساقيه وذراعيه ، محاولاً البقاء على السطح ، ومقاومًا ذلك الدوار العنيف ، الذى أحاط برأسه ..

ومن بعيد ، لاح له زورق بخارى آخر يقترب ، وتناهى هدير محركه إلى أذنيه ، فتحفزت حواسه كلها ، وحاولت أن تقاوم تلك الغيبوبة القوية ، التى هاجمت عقله فى عناد واستماتة ، و ..

ولكن حتى (رجل المستحيل) مجرد بشرى ، ومهما بلغت طاقاته وقدراته ، فلابد لها من نقطة انهيار ..

نقطة تعجز معها عضلاته وحواسه عن الاستمرار ، وعن مقاومة الألم والجهد والعذاب ..

نقطة قفز إليها جسده بغتة ، والزورق البخارى الآخر يقترب ..

ويقترب ..

ويقترب ..

وعند هذه النقطة ، أظلمت الدنيا كلها أمام عينى (أدهم) ، وانهارت حواسه كلها ، ولم يستطع جسده البقاء على سطح الماء ، فراح يغوص ، ويغوص ..

إلى أعماق المحيط ..

* * *

« ومازالت محاولات البحث مستمرة ، للعثور على جثة الهارب .. »

نطق مذيع محطة (س . إن . إن) الشهير العبارة ، وشاشة (التليفزيون) تنقل صورته ، وهو يقف عند حافة المياه ، ومن خلفه انهمك فريق الأمن بالسجن ، فى محاولة البحث عن جثة (أدهم) ، والشمس تشرق فى الأفق ، وتابع الرجل فى حماس واضح ، امتاز به أسلوبه كمذيع معروف :

ـ وحتى الآن ، تم العثور على ثلاث جثث ، لثلاثة رجال يرتدون ثيابًا كانت أنيقة ، قبل أن يمزقها ويمزقهم انفجار عنيف ، نسف زورقًا بخاريًا كانوا

يستقلونه ، بالقرب من السجن ، وفى البداية ، تصور رجال الأمن هنا أن الجثة الأولى ، التى تم انتشالها ، هى جثة الهارب ، وأعلنوا هذا رسميًا ، إلا أن مفتش الشرطة الفيدرالية (دين هانكس) استنكر هذا ، وأكد أن الجثة ليست جثة الهارب حتمًا ، وأيد قوله هذا العثور على بقايا الزورق البخارى ، والجثتين الأخريين ، وأقوال بعض شهود العيان ، الذين أكدوا رؤيتهم لزورق بخارى آخر ، اقترب من المنطقة نفسها ، بعد انفجار الأول مباشرة ، وبقى لدقيقة واحدة أو يزيد ، ثم ابتعد بأقصى سرعته ، قبل وصول فريق البحث .. ولو ثبت أن ذلك الرجل ، الذى تم إلقاء القبض عليه ، بعد معركة المستشفى المركزى ، قد نجح فى الفرار سالمًا ، تكون هذه هى الحالة الأولى من نوعها ، التى ينجح فيها شخص ما ، فى الفرار من السجن المركزى ، خلال السنوات العشرين الأخيرة ، و ...

انعقد حاجبا (السنيورا) فى غضب ، وهى تقول فى حدة :

ـ أغلقى هذا الجهاز اللعين .. لقد سئمت حديثهم عن (أدهم صبرى) هذا ، كما لو كان أسطورة حية .

أسرعت مساعدتها تضغط زر جهاز التحكم عن بعد (الريموت كنترول) ، وهى تقول :

- المفترض أنه كذلك بالفعل .

مطّت (السنيورا) شفتيها فى غضب ، وهى تقول :

- حتى الأساطير لها نهاية .

وأشعلت سيجارتها فى عصبية ، واستطردت محنقة :

- إنه لن ينتصر هذه المرة .. حتى ولو نجح فى الفرار من أكبر سجون العالم ..

لقد حاصرته تمامًا ، ولم أترك له ثغرة واحدة ، يمكنه النفاذ عبرها .

ترددت المساعدة لحظة ، قبل أن تقول :

- المشكلة أنه ينفذ دومًا من ثغرة لم ننتبه إليها .

لوّحت (السنيورا) بيدها ، قائلة فى حدة :

- فى هذه المرة لن يجد أية ثغرات .

ومالت نحو مساعدتها ، ونفثت دخان سيجارتها فى وجهها ، وهى تستطرد فى انفعال :

- لقد استأجرت فريقًا كاملاً من القتلة لمطاردته ، ونجحت فى دفع شرطة (نيويورك) كلها ، والمباحث الفيدرالية الأمريكية للسعى خلفه .

قالت المساعدة فى اهتمام :

- ولكنه نجح فى الفرار منهم جميعًا ، ومن الواضح ، طبقًا لتقرير محطة (سى . إن . إن) ، أنه قضى أيضًا

على ثلاثة من القتلة المحترفين حتى الآن ، قبل أن يختفى تمامًا ، ويفقدون كل أثر له .

انعقد حاجبا (السنيورا) فى شدة ، وهى تقول :

- لدى ما يجبره على الظهور .

سألتها فى لهفة :

- أتقصدين عملية السفير ؟!.. إنه سيتابعها حتمًا ، و ...

قاطعتها (السنيورا) فى حزم عصبى :

- كلا .. عملية السفير لا تعنينى ، فى كثير أو قليل .. لقد كانت مجرد وسيلة ، لإبقاء (أدهم) فى (نيويورك) ، حتى يستعد (توماس) ورجاله لمواجهته .

ثم التقى حاجباها أكثر ، وامتزج الغضب فى صوتها بخليط من الصرامة والمقت ، قبل أن تتابع :

- أما السلاح الذى أملكه الآن ، فهو الشىء الوحيد ، الذى سيجبر (أدهم صبرى) على الظهور ، مهما كان الثمن .

هتفت المساعدة :

- آه .. فهمت .. أنت تقصدين زميلته ، الواقعة فى غيبوبة عميقة !

أشارت إليها (السنيورا) بسبّابتها ، وهتفت :

ـ بالضبط .

نطقتها فى انفعال ، وهى تنفث دخان سيجارتها ، فسعلت مرتين ، واحتقن وجهها الجميل فى شدة ، قبل أن تتابع فى حزم ، وهى تضمّ قبضتها فى شدة :

ـ بهذا فقط أضمن أن يقع (أدهم) فى قبضتى مرغمًا ، ليدفع ثمن ما فعله بى .. وأعدك عندئذ أن يكون الثمن غاليًا .. غاليًا جدًا .

قالتها بصوت يحمل غضب ومقت الدنيا كلها ، فتطلّعت إليها مساعدتها فى دهشة ، ووجدت نفسها تغمغم :

ـ هذا لو أنه مازال على قيد الحياة .

التفتت إليها (السنيورا) فى حركة حادة ، وصرخ حاجباها من الألم ، وهما ينعقدان فى شدة وعنف ، وقفز إلى رأسها سؤال محدود ..

لو أن (أدهم صبرى) لم يلق مصرعه فى أعماق المحيط ، فأين يمكن أن يكون ؟! ..

أين ؟! ..

أين ؟! ..

* * *

قالتها بصوت يحمل غضب ومقت الدنيا كلها ، فتطلّعت إليها مساعدتها فى دهشة ..

٨ ـ العودة ..

فجأة ، انتفض جسد (أدهم) انتفاضة محدودة ، ثم فتح عينيه ، واستعاد عقله وعيه بغتة ، وإن لم يستعدْ جسده نشاطه المعتاد ..

ومع انتفاضته ، التقطت أذناه شهقة أنثوية ، أعقبها هتافٌ بصوت مألوف :

ـ أخيرًا .. حمدًا لله على سلامتك .

تطلّع فى دهشة إلى زميلته (جيهان) ، وهى تهرع إليه متهلّلة الأسارير والسعادة تقفز من كل لمحة من لمحاتها ، وغمغم :

ـ (جيهان) ؟!.. أأنت هنا ؟!

لا أحد يمكنه وصف فرحها وسعادتها بعودته إلى وعيه ، فقد خفق قلبها فى عنف ، ووثبت إليه قدماها ، قبل أن يدرك عقله ما تفعله ، ولولا أن استعادت توازنها النفسى فى اللحظة الأخيرة ، لألقت نفسها بين ذراعيه ، وغمرت وجهه بالقبلات ، وهى تسكب دموع فرحها على صدره ..

وبكل الحب واللهفة فى أعماقها ، وبكل الوله والهيام المطلّ فى عينيها ، هتفت :

ـ حمدًا لله على سلامتك .

قرأ كل هذه المشاعر فى وجهها وصوتها ، وهو يسألها :

ـ كيف وصلت إلى هنا ؟

أطلقت ضحكة مرحة ، لتفرغ انفعالها كله ، قبل أن تجيب ملوّحة بسبّابتها :

ـ إننى أمنحك دليلاً على أننى أكثر من يمكنه فهمك ، فى العالم أجمع .. لقد سعيت للحصول على خريطة السجن المركزى ، ومنها قدّرت أنك ستتخذ من فتحات التهوية وسيلة لبلوغ القبو ، ومنه ستجد سبيلك إلى الخارج ، عبر أنابيب الصرف ، وهذا فور معرفتى بمحاولة فرارك ، من محطة (سى . إن . إن) الإخبارية ، وبلا تردُّد ، استأجرت زورقًا بخاريًا ، وأسرعت به إلى تلك المنطقة من المحيط ، حيث تنتهى أنابيب الصرف ، وهناك شاهدت الزورق ينفجر ، ورأيت الانفجار يلقى بك فى الماء ، فانطلقت نحوك ، وقفزت إلى الماء ، مضحية بواحد من أفضل أثوابى وأجملها ، وانتشلتك بعد أن فقدت وعيك ، وعدت بك إلى هنا بأقصى سرعة .

ابتسم ابتسامة باهتة ، وهو يقول :

ـ هذا يعنى أننى مدين لك بحياتى .

هتفت :

ـ لا بأس .. فأنت حياتى كلها .

لم تكد تنطقها ، حتى تفجّرت فى أعماقها ينابيع الخجل ، فتضرّج وجهها بحمرته ، وتراجعت متمتمة :

ـ أعنى أنك أنقذت حياتى أكثر من مرة أيضًا .

ابتسم لخجلها لحظة ، ثم لم يلبث أن استعاد ذاكرته كلها بغتة ، فانعقد حاجباه فى شدة ، وهبّ جالسًا ، وهو يقول فى توتر :

ـ يا إلهى ! .. (منى) !

شحب وجه (جيهان) فى شدة ، وهى تقول :

ـ لقد حاولت منعهم من اختطافها .. أقسم لك .

كان يشعر بآلام عنيفة فى ظهره ، مع الكدمات التى سببها ارتطام أجزاء الزورق المتفجر به ، ولكنه كبت مشاعره ، وهو يقول لها فى حزم :

ـ أنا واثق من أنك قد بذلت قصارى جهدك ، ولكن الحقيقة الواقعة الآن هى أنهم نجحوا فى اختطاف (منى) ، وأنها أصبحت فى قبضتهم

سألته فى قلق :

ـ من فعل هذا فى اعتقادك ؟

صمت لحظات ، انعقد خلالها حاجباه فى تفكير عميق ، قبل أن يجيب :

ـ من الواضح أن كل مشكلاتنا تنبع من نقطة واحدة ، تدور حولها كل الأحداث .

أجابت فى سرعة :

ـ السنيورا .

وافقها بإيماءة من رأسه ، قبل أن يتابع :

ـ إنها المسئول الأوّل عن اختطاف السفير ، وعن الأشخاص الذين سعوا لقتلى ، والذين يقودهم أو يتزعّمهم رجل يُدعى (توماس) ، وأيضًا عن ذلك الزنجى ، الذى حاول التخلّص منى فى السجن

قالت (جيهان) فى اهتمام :

ـ هذا يعنى أننا لو أمسكنا بطرف خيط واحد ، فمن الممكن أن يقودنا هذا إلى كل الخيوط .

أشار بسبّابته ، قائلاً :

ـ بالضبط .

أومأت برأسها متفهّمة ، قبل أن تقول فى حماس :

ـ يمكننا أن نبدأ إذن من حادث اختطاف السفير وزوجته .

تطلّع إليها مجيبًا :

- لقد تتبعنا ذلك الخيط بالفعل ، وقادنا إلى هنا ، وأصبحنا نعلم أن المختطفين يختفون مع رهينتهم ، فى مكان ما من (نيويورك) ، ولكننا نجهل أين ؟

قالت فى حزم :

- فلنبدأ البحث على الفور إذن .

ثم اتجهت إلى الكمبيوتر ، مستطردة :

- فى أثناء غيابك ، قام رجالنا هنا بعدد من التحريات ، حول حادث اختطاف السفير ، وبوساطة عميل مرتش فى مركز الشرطة ، وأمكنهم الحصول على نتائج التحقيقات الجنائية .

هزّ رأسه ، قائلاً :

- نتائج التحقيقات الجنائية لن تفيد كثيرًا .

سألته ، وهى تضرب أزرار الكمبيوتر :

- هذا صحيح ، ولكنها منحتنا وصفًا تفصيليًا لواحد من المجرمين ، الذين شاركوا فى عملية اختطاف السفير وزوجته ، طبقًا لأقوال الشهود ، ولقد حوّل رسّام الشرطة هذا الوصف إلى رسم واضح .

قالت جملتها الأخيرة ، وهى تضغط أحد أزرار الكمبيوتر، فارتسم على شاشته رسم لوجه قاس ، غليظ الملامح ، يختفى معظمه خلف شارب ضخم ، ويشفّ ما تبقى منه عن قسمات أسبانية واضحة ، جعلت (أدهم) يقول :

- هذا الرجل مكسيكى على الأرجح .

أومأت برأسها إيجابًا ، وقالت :

- خبراء الشرطة أيضًا قدّروا هذا ، وحاولوا البحث عن أية معلومات خاصة بالرجل ، من خلال مراجعة أرقام الضمان الاجتماعى(*) ، أو سجلات الشرطة ، ولكن بحثهم لم يسفر عن أية معلومات بعد ، ومن الواضح أنّ الرجل أحد المهاجرين غير الشرعيين وليست له سوابق معروفة .

أجابها فى حزم :

- بالنسبة للشرطة الجنائية .

رفعت عينيها إليه ، تسأله فى حيرة :

- ماذا تعنى ؟

أشار بيده ، مجيبًا :

- أعنى أن الشرطة الجنائية هى آخر جهة تحصل على المعلومات هنا ، وأنه هناك جهات أخرى ، لديها سجلات خاصة ، لا تسمح للآخرين بالاطلاع عليها ، إلا فى ظروف خاصة للغاية .

(*) لكل مواطن أمريكى رقم خاص ، يمكن من خلاله معرفة كل بياناته الشخصية ، تمامًا مثل مشروع الرقم القومى للمواطن المصرى ، الذى يتم إعداده فى الوقت الحالى .

أطلت حيرة أكثر من عينيها ، وهمت بإلقاء سؤال آخر إلا أنه تابع فى حزم :

ـ أرسلى برقية شفرية للقيادة فى (القاهرة) ، وأبلغيهم أننى عدت لمواصلة المهمة الرئيسية ، واطلبى من رجالنا هنا إجراء أكبر قدر من التحريات المكثفة ، حول مجرم محترف .. قاتل على الأرجح ، يحمل اسم (توماس) ، ويحاولون البحث عما يربطه بالرجال الثلاثة ، الذين حاولوا قتلى ، عند هروبى من السجن المركزى .

سألته فى اهتمام :

ـ وماذا أيضًا ؟

أشار لها بيده ، مستطردًا ، وهو يلتقط حقيبة أدوات التنكر باليد الأخرى .

ـ وأعيرينى مفاتيح سيارتك الرياضية الجديدة ، فسأحتاج إليها فى عمل محدود .

انعقد حاجباها الجميلان ، وهى تقول :

ـ أتعنى أنك ستذهب وحدك ؟

ابتسم ، وهو يجيب :

ـ بالتأكيد يا زميلتى العزيزة ، ولا تجعلى هذا يحنقك أو يدهشك ، فسيكون لديك الكثير لتفعليه ، حتى أنتهى

من هذا العمل ، ثم إننى أودّ أن أدخر الحنق والدهشة لشخص آخر .

واتسعت ابتسامته ، وهو يضيف :

ـ شخص سيمنحنا كل الأجوبة المطلوبة .

تضاعفت حيرتها ، وهى تتطلّع إلى ابتسامته ، التى حملت شيئًا من الجذل ، مع الكثير من الغموض .. الكثير جدًا ..

* * *

بدا الغضب على وجه المفتش (هانكس) ، وهو يقول لأحد رجاله فى عصبية :

ـ هل رأيت فضيحة أكبر من هذه ؟!.. نلقى القبض على شخص غامض وسط أحداث بالغة العنف ، نقلتها المحطات التليفزيونية إلى كل بيت فى (أمريكا) ، وربما فى العالم كله ، ونضعه فى السجن ؛ لنضمن تواجده حتى ننتهى من استجوابه ، ويتمّ تقديمه للمحاكمة ، فيتصرّف مسئولو الأمن هناك بإهمال واستهتار ، يسمحان له بالفرار من السجن ، ثم يختفى تمامًا ، دون أن نعثر له على أدنى أثر !!

أجابه الرجل ، محاولاً تهدئته :

ـ لقد وزعنا نشرة بأوصافه يا سيدى المفتش ، و ...

قاطعة (هانكس) فى حنق :

- وما الذى يمكن أن تفعله نشرة لأوصاف عادية ، مع رجل غير عادى ؟! .. ألم تدرك بعد طبيعة خصمنا يارجل ؟ ألم تتعلم شيئًا من كل ما فعله ، ومن فراره المدهش من سجن ، لم ينجح مخلوق واحد فى الفرار منه ، طوال العشرين عامًا الماضية ؟!

قلب الرجل كفيه فى حيرة ، وقال :

- ما الذى يمكننا فعله إذن ؟

هزّ (هانكس) رأسه فى حنق ، وضرب سطح المائدة بقبضته ، قائلاً :

- أتمنى لو أننى أمتلك الجواب .

كانت نفسه تموج بالسخط والغضب ، حتى كاد يقطع شفته السفلى بأسنانه ، قبل أن يشير إلى الرجل ، مستطردًا :

- لو أننا لم نستطع استعادته ، فلا أقل من أن نلقّن المسئول عن فراره درسًا قاسيًا .. هيا .. راجع ملف ذلك المدعو (بيرت) ، منذ كان طفلاً فى الخامسة من عمره .. أريد تاريخ التحاقه بالمدرسة الثانوية .. تاريخ إصابته بأول التهاب فى اللوزتين .. بأول إصابة

فى ملعب البيسبول(*) .. أريد معرفة كل تفاصيل حياته بلا استثناء ؛ فوغد كهذا سيحمل فى تاريخه خطأ مَا حتمًا ، ومن هذا الخطأ سنسعى لنسفه ، ولتحطيم مستقبله تمامًا .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى تنحنح أحد رجاله من خلفه ، وقال :

- معذرة يا سيادة المفتش ، ولكن أحد رجال المخابرات المركزية يطلب مقابلتك على وجه السرعة .

انعقد حاجبا (هانكس) ، وهو يقول :

- المخابرات ؟!

واستغرق فى تفكير متوتر بضع لحظات ، قبل أن ينهض من مقعده ، ويستطرد :

- فليكن .. سأستقبله فى مكتبى على الفور .

اتجه إلى مكتبه ، وعدّل رباط عنقه ، وهو يجلس خلفه ، وتعلق بصره بالرجل الوقور ، الأشيب الفودين ، الذى دلف إلى حجرته ، ورمقه بنظرة طويلة ، قبل أن يقول :

(*) البيسبول : رياضة نشأت فى (أمريكا) ، وانتقلت منها إلى (اليابان) و (أوروبا) ، و (أمريكا اللاتينية) ، تحتاج إلى ملعب معيّن الشكل ، طول ضلعه ٣٠ مترًا ، ويلعبها فريقان ، يتكوّن كل منهما من تسعة لاعبين ، وفيها يضرب لاعب الكرة بمضرب مستدير ، ويتم الجرى حول أركان الملعب ، فى حين يسعى الفريق المنافس لالتقاط الكرة ، وهكذا ..

ـ المفتش (دين هانكس) .. أليس كذلك ؟
أجابه (هانكس) فى اهتمام :
ـ بلى .. أخبرونى أنك رجل مخابرات .
أبرز الرجل بطاقة خاصة ، من بطاقات جهاز المخابرات الأمريكى ، تحمل صورة واضحة له ، وهو يقول :
ـ (تيم بارتون) .. من العمليات الخاصة .
ألقى (هانكس) نظرة متأنية على البطاقة ، وقارن الصورة فيها بوجه الرجل ، قبل أن يتراجع بمقعده ، ويقول فى اهتمام واضح :
ـ ترى ما الذى يمكن أن تحتاج إليه المخابرات المركزية من المباحث الفيدرالية يا سيِّد (بارتون) ؟
جذب (بارتون) مقعدًا ، ليجلس أمام مكتبه مباشرة ، وهو يجيب فى اقتضاب حازم :
ـ معلومات .
ارتفع حاجبا (هانكس) فى دهشة ، وهو يقول :
ـ معلومات ؟! .. أنتم تريدون المعلومات منا ؟! .. المفترض أن يحدث العكس ياسيِّد (بارتون) .
هزَّ (بارتون) رأسه نفيًا فى بطء ، وأجاب :
ـ ليس فى هذه الحالة أيها المفتش .

ثم مال نحوه ، مستطردًا فى حزم :
ـ لقد شاهدت ذلك الرسم ، الذى وضعه رسَّام الشرطة ، لذلك المجرم المكسيكى ، الذى شارك فى عملية اختطاف السفير المصرى ، ولم نجد لدينا أية معلومات بشأنه .
انعقد حاجبا (هانكس) ، وقال فى حذر :
ـ ولماذا تصوَّرت أنك ستجد مثل هذه المعلومات لدينا ؟
ابتسم (بارتون) فى سخرية ، ومال نحوه ، قائلاً :
ـ لأننا نعلم أن لديكم ملفات خاصة ، لمثل هؤلاء الأوغاد ، وأنكم تعرفون الكثير عنهم ، حتى وإن تظاهرتم بالعكس .
ازداد انعقاد حاجبى (هانكس) ، وهو يتطلع إلى الرجل ، قبل أن يغمغم :
ـ ولماذا تسعون للحصول على معلومات خاصة بـ (خوزيه) هذا ؟
ارتفع حاجبا (بارتون) ، وهو يقول :
ـ آه .. اسمه (خوزيه) .. هذه بداية طيبة .
بدا الحنق على وجه (هانكس) ؛ لأنه لفظ اسم الرجل دون أن يدرى ، فى حين تابع (بارتون) بلهجة صارمة :

- سيكون من الألطف أن تخبرنى بلقبه ، وبالسبب الذى جعلكم تتجاهلون عملية البحث عنه ، على الرغم من أنكم تمتلكون بعض المعلومات الخاصة به .

قال (هانكس) فى حدة :

- من قال إننا نتجاهل عملية البحث عنه ؟.. لقد أسندنا هذه المهمة لثلاثة من أفضل رجالنا ، ولكن أمثال (خوزيه ماسياس) هؤلاء لا يمكن العثور عليهم بسهولة .. إنهم يختفون فى أعماق المجتمع ، كما لو كانوا ديدانًا مجهرية ، لا يمكن رؤيتها بالعين المجرّدة ، ولهم - فى المعتاد - عشرات الأعوان والمساعدين ، الذين لاهمّ لهم سوى التستر عليهم ، وتغطية هروبهم واختفائهم ، فى عالمهم السفلى البغيض ، الذى لايمكنك التوغّل فيه سوى داخل دبّابة مصفحة ، وسط جيش من المقاتلين الأشداء ، فى دروع من الفولاذ .

ابتسم (بارتون) فى سخرية ، قائلاً :

- ليس إلى هذا الحد .

لوّح (هانكس) بيده فى حدة وهو يقول :

- بل الأمر فى حقيقته يفوق هذا الحد بكثير .. انظر حولك ، وستجد أننى على حق تمامًا فيما أقول .. انظر إلى شوارع (نيويورك) ، التى لاتخلو من الجريمة ،

فى أى وقت من النهار .. حوادث قتل ، وسرقة ، واختطاف ، واغتصاب ، وسطو بالإكراه .. ولاحظ أننى أتحدث عن الشوارع الرئيسية الكبيرة ، فما أدراك بما يحدث بعد غروب الشمس ، فى الشوارع الضيقة ، والأزقة ، والحدائق العامة ، ومحطات مترو الأنفاق !! هل تعلم من يدير هذا العالم المخيف العنيف ؟!.. إنهم أولئك الأوغاد ، من طراز (خوزيه باسياس) .. وحتى هذا الأخير ليس سوى مسمار بسيط ، فى صرح هائل مخيف ، يتزعّمه شياطين فى هيئة آدمية ، لا يتردّد الواحد منهم فى وضعك داخل إناء مملوء بالزيت المغلى ، وتقليبك فيه فى بطء وعناية ، وهو يتلذّذ بكل صرخة ألم تنطلق من أعماقك ، حتى تلقى مصرعك ، وأنت تعانى عذابًا رهيبًا ، لاتطرف له فى جسده شعرة واحدة ، ثم يلقى جثتك للكلاب بلا رحمة أو مبالاة .

حافظ (بارتون) على ابتسامته الساخرة ، وهو يقول :

- رائع .. لقد نجحت فى إثارة ذعرى ومخاوفى أيها المفتش ، والآن دعنا نعد إلى الموضوع الرئيسى .. إلى أى عالم ينتمى (خوزيه ما سياس) هذا ؟ أعنى أى جزء يتحكّم فيه من المدينة ؟

مطَّ (هاتكس) شفتيه ، قائلاً :

ـ إنه لايتحكم فى أى جزء من (نيويورك) ، ولكنه أحد الذين يمثلون الكبار ، فى منطقة (بروكلين) ، والذين ..

بتر عبارته بغتة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يحدق فى أذن (بارتون) قبل أن يهتف بصوت مبحوح ، من فرط الانفعال :

ـ ربَّاه ! .. مستحيل ! .. إنه أنت !! .. أنت ذلك الـ ...

قالها ، ويده تسرع نحو مسدسه ، المعلَّق تحت إبطه ، ولكن (بارتون) تحرك فى سرعة مدهشة ، وانقضَّ عليه كالبرق ، وقبض على معصمه ، ولواه فى قوة ، وهو يستعيد صوته الأصلى ، قائلاً فى سخرية :

ـ رائع أيها المفتش .. مازلت تثير إعجابى بحق .. إنك لست شريفًا ومخلصًا فحسب ، ولكنك أيضًا واحد من القلائل ، الذين يدركون أهمية الأسلوب الفرنسى القديم ، فى تعرف الآخرين من بصمة آذانهم .

هتف (هاتكس) فى ذهول ، و (أدهم) ينتزع مسدسه من يده ، ويلصق فوهته بعنقه :

ـ ولكن كيف .. كيف فعلت هذا ؟ .. الملامح ، والصوت ، وهوية رجال المخابرات !! .. هذا مستحيل !

أجابه (أدهم) فى سخرية :

ـ يمكنك أن تقول إننى أمتلك وسائل عديدة ، للتعامل مع الآخرين .

هتف (هاتكس) :

ـ من المستحيل أن تكون شخصًا عاديًا .. أقسم إنك رجل مخابرات مصرى .

انعقد حاجبا (أدهم) فى صرامة ، وهو يقول :

ـ دعك من هذه السخافات أيها المفتش ، واستمع إلىَّ جيدًا .

قال (هاتكس) فى حدة ، وهو يجاهد للتخلص من قبضته :

ـ كيف جرؤت على هذا ؟.. كيف أتيت بقدميك إلى هنا ؟ ..

أجابه (أدهم) :

ـ أمر تعلمته من والدى (رحمه الله) ، منذ زمن طويل .. فأفضل مكان تختبئ فيه من خصمك هو عرينه نفسه ؛ فهو آخر مكان يخطر بباله ، وآخر منطقة يبحث فيها عنك .

هتف به (هاتكس) :

ـ ولكن دخول مقرَّنا ليس كالخروج منه .. يكفى أن أطلق صيحة استنجاد واحدة لـ ...

قاطعه (أدهم) فى صرامة عنيفة :

- قلت لك : كف عن سخافاتك هذه ، واستمع إلىّ جيدًا .. إنك تضيع الكثير ، فى سبيل إثبات تفوقك علىّ .. ألم تدرك بعد أننى أقدّم لك قضية أكثر قوة وأهمية ؟!

التقى حاجبا (هانكس) ، وهو يتطلّع إليه فى شك ، فدفعه (أدهم) ؛ ليعيده إلى مقعده ، مستطردًا فى حزم :

- من الواضح أنك لم تتتبع أمر الجنرال (رالف أيدن) ، والطيّار (مايكل فريمان) ، فلو أنك التقطت طرف الخيط وسعيت خلفه ، لوضعت يدك على أضخم قضايا القرن العشرين ، منذ قضية (واترجيت)(*) .

تطلّع إليه (هانكس) فى شك حذر ، فتراجع (أدهم) فى هدوء ، وجلس على مقعد مقابل له ، مضيفًا :

- والآن .. ألم تقتنع بعد بضرورة أن نتعاون معًا ، بدلاً من أن نتقاتل ، ونمنح خصمنا فرصة الفرار ، وتوفيق أوضاعه للتصدّى لنا ؟

(*) واترجيت : فضيحة أمريكية شهيرة ، تسببت فى استقالة الرئيس الأمريكى السابق (ريتشارد ميلهوس نيكسون) ، بعد أن ثبت تورطه فى عمليات تصنت وتجسس ، على مقر الحزب الديمقراطى ، عام ١٩٧٢ م ، قام بها مساعدوه ، بناء على أوامر شخصية منه ، وترجع أهمية الفضيحة إلى كونها المرة الأولى ، فى التاريخ الأمريكى ، التى أجبر فيها رئيس جمهورية على الاستقالة .

قال (هانكس) فى حدة :

- القانون يمنعنى من التعاون معك .

رفع (أدهم) حاجبيه ، وهو يقول ساخرًا :

- حقًا ؟! .. وماذا عن المنطق والعقل ؟

بدا التردّد على وجه (هانكس) ، واستعد لقول شىء ما ، عندما دخل أحد رجاله المكتب فجأة ، قائلاً :

- سيّدى المفتش .. لقد تلقينا الآن مكالمة هاتفية عاجلة ، من الـ ...

قاطعه (هانكس) بغتة ، وهو يقفز من خلف مكتبه ، مشيرًا إلى (أدهم) :

- (كارل) .. أوقف هذا الرجل .. إنه (أدهم صبرى) ، الذى نبحث عنه .

تراجع (كارل) فى حركة سريعة ، واتسعت عيناه فى دهشة تكاد تبلغ حد الذهول ، إلا أن هذا لم يمنعه من أن يستلّ مسدسه ، و ..

ودوت الرصاصات فى مقر المباحث الفيدرالية ..

ولم يعد (أدهم) يسيطر على الموقف ..

لم يعد كذلك أبدًا ..

* * *

٩ - العالم السفلى ..

احتقن وجه (توماس كلارك) فى شدة ، واختلط الغضب بالسخط والحنق فى ملامحه ، وهو يقول للسنيورا فى حدة ، عبر أسلاك الهاتف :

- أعلم أننا قرأنا ملف الرجل جيدًا ياسنيورا ، ولكن من الواضح أنه ما من وصف ، مهما بلغت دقته ، يمكن أن ينقل إليك صورة حقيقية له .. لقد كانت المواجهة الأولى حتمية ، على الرغم من أننا خسرنا فيها ثلاثة من أفضل رجالنا .

صاحت به السنيورا فى حدة :

- خطأ يا (توماس) .. خطأ .. لقد حذّرتكم من هذا منذ البداية ، ولكن أحدكم لم يأخذ الأمر مأخذ الجد .. غروركم صوّر لكم أنكم أبرع المحترفين فى الكون ، وأنه يكفى ثلاثة منكم ، للقضاء عليه قضاء مبرمًا .. أنتم تستحقون هذا الدرس .

هتف (توماس) ، ووجهه يزداد احتقانًا :

- ولكن خطتنا كانت محكمة بالفعل ياسنيورا .. (بيرت) منع رجاله من الخروج للبحث عن الرجل ، عند

الشاطئ الصخرى ، ونحن خرجنا إليه بفريق يتكوّن من خمسة من رجالنا .. (ألفريد) و(جيسون) انتظراه عند الشاطئ ، فى حين استقل (تونى) و (تشارلز) و (آرثر) زورقًا بخاريًا ، لملاقاته عند نقطة الخروج ، ولا تنسَ أن كل واحد من هؤلاء الخمسة قاتل محترف ، ولا يُشق له غبار .

صاحت به غاضبة :

- بل لا تنس أنت أن (أدهم صبرى) هذا حطّم أنف عمالقة (المافيا) أكثر من مرة(*) ، قبل أن يكتسب احترامهم وصداقتهم(**) وأنه المسئول عن سحق منظمة (سكوربيون) بأكملها(***) ، فهل تعتقد أن خمسة من المحترفين يكفون ، للقضاء عن رجل مثله !

تضاعف احتقان وجه (توماس) ، حتى كادت عيناه تبرزان من محجريهما ، وهو يقول فى صوت مختنق :

- فليكن يا سنيورا .. ربما أخطأنا بالفعل فى مواجهتنا الأولى معه ، ولكننى أعدك أن المواجهة القادمة ستكون مختلفة .

(*) راجع قصة (شيطان المافيا) .. المغامرة رقم (٤٨) .
(**) راجع قصة (دونا كارولينا) .. المغامرة رقم (٦٠) .
(***) راجع قصة (جزيرة الجحيم) .. المغامرة رقم (٨٤) .

وانعقد حاجباه فى قوة ، وهو يضيف :

ـ وحاسمة ..

ران الصمت لعدة ثوان ، عبر أسلاك الهاتف ، وكأنما استغرقت السنيورا فى تفكير عميق ، فى محاولة لدراسة عبارة (توماس) ، قبل أن تسأل فى حزم :

ـ وأين يمكن أن نتمّ المواجهة الثانية فى رأيك ؟

باغته السؤال ، فأرتج عليه بضع لحظات ، قبل أن يقول فى توتر :

ـ الأحداث ستقودنا إلى موضع المواجهة حتمًا .

هتفت به فى صرامة :

ـ خطأ .

تراجع بحركة حادة ، وكأنما اخترق هتافها أذنه ، ثم عاد يقرب السمّاعة منها ، وهو يقول فى عصبية :

ـ ماذا تعنين يا سنيورا ؟

أجابت فى انفعال واضح :

ـ من الخطأ أن تسمح لخصمك باختيار وقت ومكان المواجهة بينك وبينه ..

البراعة فى أن تدفعه أنت دفعًا إلى حيث تريد ، ووقتما تريد .

سألها فى حيرة :

ـ وكيف يمكن هذا ؟

مضت لحظة من الصمت ، قبل أن تقول :

ـ دع لى هذه المهمة .

قالتها بصوت يحمل كل الثقة ..

وكل الحزم ..

* * *

لم يكد (هانكس) يهتف بزميله ، ويطالبه بإلقاء القبض على (أدهم) ، الذى ينتحل شخصية رجل المخابرات الأمريكى (تيم بارتون) ، بل وقبل حتى أن ينتهى الهتاف ، كان (أدهم) قد بدأ تحركه ..

وفى نفس اللحظة ، التى انتزع فيها رجل المباحث الفيدرالية مسدسه ، كان (أدهم) قد بلغ موضعه بوثبة مدهشة ، وقبض على معصمه ، قائلاً فى سخرية :

ـ أهنئك على سرعة تلبيتك لأوامر رؤسائك .

ثم لوى المعصم فى قوة ، وهو يجذب الرجل إلى داخل الحجرة ، ويلتقط مقبض الباب باليد الأخرى ، ليغلقه فى عنف ، مستطردًا ، ورصاصة الرجل تنطلق نحو السقف :

ـ وتقبّل أسفى على نتائج هذا .

قالها ، وهو يدير يد الرجل خلف ظهره ، ويجبره

على التخلّى عن مسدسـه ، قبل أن يدفعه إلى الأمام فى عنف ، ليرتطم بالمفتش (هـانكس) ، الذى دار حول مكتبه فى سرعة ، فى محاولة للاشتباك مع (أدهم) ، فسقط رجلا المباحث الفيدرالية أرضًا ، فى نفس اللحظة التى حدثت فيها جلبة واضحة فى الخارج ، وارتفع صوت أحد رجال المباحث يهتف :

ـ (هانكس) .. ماذا يحدث فى مكتبك ؟

أزاح (هانكس) زميله عنه ، وهو يقول فى توتر :

ـ أرأيت يا سيّد (أدهم) ؟ .. لقد خسرت .. هؤلاء الرجال فى الخارج لن يسمحوا لك بمغادرة المكان أبدًا ، حتى ولو أطلقت النار على نصفهم ، وأرديتهم قتلى .

كان زميله يحاول النهوض فى سرعة ، ولكن (أدهم) دار حول نفسه فى مرونة ، وركله فى أنفه ، فأسقطه فاقد الوعى ، وهو يقول للمفتش (هانكس) :

ـ من الواضح أنك لم تفهمنى بعد أيها المفتش .

ثم جذبه من سترته ، ليجبره على الوقوف ، مستطردًا فى صرامة :

ـ أنا لا أبغض أكثر من القتل وإراقة الدماء .

قالها ، وهوى على فك (هانكس) بلكمة عنيفة ، سقط المفتش على إثرها فاقد الوعى ، فى نفس اللحظة

التى ارتفع فيها صوت يهتف فى صرامة :

ـ (هانكس) .. أخبرنا ماذا يحدث عندك ، وإلا اقتحمنا الحجرة على الفور .

ألقى (أدهم) نظرة على (هانكس) وزميله ، ومطّ شفتيه مغمغمًا :

ـ كنت على حق يا (هانكس) .. لن يسمحوا لى بمغادرة المكان أبدًا .

ثم انتزع قناع (تيم بارتون) عن وجهه ، مستطردًا :

ـ ولكنهم سيسمحون لك بذلك بالتأكيد .

نطقها مبتسمًا فى سخرية ، وهو يلقى قناع (بارتون) جانبًا ، وقد بدا أسفله قناع آخر شديد الإتقان ، يحمل وجه رجل المباحث الفيدرالية نفسه ..

وجه المفتش (دين هانكس) ..

وفى نفس اللحظة ، التى ألقى فيها (أدهم) القناع ، كان يهتف بصوت يحاكى صوت (هانكس) تمامًا ..

ـ لا داعى يا رفاق .. إننى أسيطر على الموقف تمامًا .

واتجه إلى الباب ، وفتحه فى جرأة ، فاتجهت إليه الأنظار كلها فى تساؤل قلق ، جعله يشير إلى الداخل إشارة مبهمة ، قبل أن يغلق الباب خلفه ، قائلا :



نطقها مبتسمًا فى سخرية ، وهو يلقى قناع (بارتون) جانبًا،
وقد بدا أسفله قناع آخر شديد الإتقان ..

- الرجل الذى ادعى كونه رجل مخابرات كان زائفًا ، ولقد هاجم (كارل) ، ولكننى هاجمته على الفور ، واشتبكت معه ، وأفقدته الوعى ..

هتف أحد الرجال فى دهشة ، وهو يتطلع إلى وجهه فى شك :

- كان زائفًا .

أشاح (أدهم) بوجهه ، وهو يقول فى انفعال مصطنع .

- نعم .. فليقف أحدكم بالباب ، وليمنع أى شخص من الدخول أو الخروج ، حتى يصل المدير .. الأمر خطير للغاية ، ومن الضرورى أن يبت فيه بنفسه .

قالها ، وهو يندفع مغادرًا .. القاعة كلها ، واستقلّ المصعد فى هدوء ، فنقل الرجال بصرهم بينه وبين الباب المغلق فى حيرة ، قبل أن يغمغم أحدهم :

- رجل مخابرات زائف ؟! .. عجبًا ! .. هذا الأمر لم يحدث من قبل ..

اندفع ثان يقول فى قلق :

- قل لى : ألم يبد لك (هانكس) مختلفًا ، عندما غادر الحجرة ؟!

أجاب ثالث فى سرعة :

- بالتأكيد .. لقد بدا لى أطول قامة ، وأشدّ قوة .

هتف رابع :

- وحتى الحلة التى يرتديها كانت مختلفة .

تبادلوا جميعًا نظرة قلقة مذعورة ، قبل أن ينقضّ أحدهم على الحجرة ، هاتفًا :

- رباه !.. هذا يبدو مستحيلاً ، ولكن ..

قبل أن يتمّ عبارته ، كان قد اقتحم الحجرة بالفعل ، ووقع بصره على (هاتكس) و (كارل) الفاقدى الوعى ، فتراجع كالمصعوق ، هاتفًا :

- مستحيل !.

اتسعت عيون الرجال فى ذهول ، وصاح أحدهم :

- من ذلك الذى انصرف إذن ؟!

كاد الذهول يلتهمهم بضع لحظات، حتى انتزع أحدهم نفسه منه ، وصرخ ، وهو يعدو نحو المصعد :

- امنعوا ذلك الشيطان من الانصراف .. امنعوه من الفرار .

وثب آخر إلى جهاز الإنذار الداخلى ، فضغطه بيده كلها ، وهو يصيح عبر مكبرات الصوت ، المنتشرة فى المبنى كله :

- هناك شخص ينتحل شخصية المفتش (هاتكس) ..

امنعوه من مغادرة المبنى بأى ثمن .. هل تفهمون ؟ .. بأى ثمن .

مضت لحظة من الصمت ، قبل أن يأتيه صوت رئيس فريق الأمن بالمبنى ، وهو يقول فى توتر ملحوظ :

- ولكن المفتش (هاتكس) غادر المبنى بالفعل ، منذ دقيقة واحدة .

امتقع وجه رجل المباحث الفيدرالى ، وصاح برفاقه :

- الرجل غادر المبنى .. دعونا ننطلق لمطاردته .. لا ينبغى أن نسمح له بالفرار أبدًا .

انطلق أربعة منهم لمطاردة (أدهم) ، ولكنهم ما إن بلغوا مدخل المبنى ، حتى أدركوا أن خصمهم لم يعد هناك ..

لقد اختفى تمامًا وذاب وسط زحام (نيويورك) .

اختفى تمامًا ..

* * *

لهث مفتش الشرطة المكسيكى (بابلو) ، وهو يتسلّق تلك المرتفعات الصخرية ، فى صحراء (المكسيك) ، بصحبة المصوّر (جان زوكرمان) ، وحمل صوته شيئًا من تعبه وعصبيته ، وهو يقول لهذا الأخير :

- الشمس أوشكت على الغروب ، ولم نعثر على آلة

التصوير الخاصة بزوجتك بعد يا سنيور (زوكرمان) ، وهذا ثالث مرتفع نتسلّقه .

وثب (زوكرمان) يعتلى قمة المرتفع ، وهو يقول فى حزم :

ـ أنا واثق من أننا سنعثر عليها فى مكان ما هنا .

لوّح (بابلو) بذراعيه فى حدة ، هاتفًا :

ـ ومن أين ثقتك هذه ؟

أشار (زوكرمان) حوله ، قائلاً :

ـ من ثقتى بأن (أنجيل) خرجت خصيصًا لتصوير هذه التلال ، وليس للتجوال حول النهر ، ولو أنها فقدت آلة التصوير الخاصة بها ، فقد فقدتها هنا حتمًا .

جلس (بابلو) على صخرة كبيرة ، وأخرج منديله ليجفّف عرقه الغزير وهو يقول فى حنق :

ـ أشعر بالحماقة ، لأننى صدقتك ، وتبعتك إلى هنا ، وأكاد أقسم إننا لن نعثر على أى شىء ، خاصة وأن حقيبة زوجتك تحوى آلة تصوير بالفعل .

أجابه (زوكرمان) وهو يتلفت حوله فى اهتمام :

ـ لقد شرحت لك هذا الأمر من قبل ، وأخبرتك أن أى مصوّر محترف يحمل فى المعتاد آلتى تصوير على الأقل ، و ..

بتر عبارته بغتة ، وهو يحدّق فى نقطة ما ، قبل أن يندفع نحوها بحركة حادة ، جعلت (بابلو) يهبّ من مقعده ، هاتفًا :

ـ ماذا وجدت ؟

انحنى (زوكرمان) يلتقط جسمًا مستديرًا من بين الصخور ، وهو يقول فى انفعال واضح :

ـ إنه غطاء عدسة ، من نفس الطراز الذى تستخدمه زوجتى ، وهذا يعنى أنها كانت هنا بالفعل .

التقط (بابلو) الغطاء ، وتطلّع إليه فى حيرة ، قبل أن يغمغم :

ـ يبدو يا سنيور (زوكرمان) أننا ..

قبل أن يتمّ عبارته ، اندفع (زوكرمان) نحو حافة المرتفع ، وهو يقول فى انفعال :

ـ رباه ! .. ها هى ذى .

حدّق فيه (بابلو) فى دهشة ، وهو ينحنى ليلتقط آلة تصوير كبيرة ، وهتف :

ـ أهذه آلة التصوير الخاصة بزوجتك ؟

أجابه (زوكرمان) بسرعة :

ـ نعم .. إنها هى ، وبداخلها الفيلم ، الذى التقطت منه عدة صور بالفعل .

والتفت إلى (بابلو) ، مستطردًا فى حماس :

ـ ولاحظ أنه الفيلم الوحيد ، الذى بقى من كل ما كانت تحمله ، وأراهنك على أن الصور التى التقطتها منه ، ستحمل لنا تفسيرًا لما دفع البعض إلى التخلص منها .

قالها ، دون أن يدرى أن الصور التى التقطتها زوجته (أنجيل لوبان) لن تحمل التفسير فحسب ..

إنها ستحمل الكثير ، لأناس لم يلتق بهم فى حياته قط ..

الكثير جدًا ..

* * *

غادرت (جيهان) .. مترو الأنفاق فى (نيويورك) ، وهى تحمل حقيبتها الأنيقة ، وتابعتها عيون ركاب المترو فى دهشة ، مع تساؤلاتهم الحائرة عن السبب ، الذى يدفع فتاة جميلة أنيقة مثلها ، إلى القدوم إلى منطقة موبوءة بالجريمة كهذه ، وتنهدت بعض السيدات فى حسرة مشفقة ، وهن يتخيلن ما يمكن أن يصيبها ، فى حىّ انتشرت فيه الجريمة ، حتى بات رجال الشرطة أنفسهم يخشون الاقتراب منه ، ولكن سرعان ما ذهب احساسهن بالشفقة ، مع ذلك التوتر الذى ملأ نفوس

الجميع ، خشية أن يثب أحد المجرمين إلى المترو ، ويشهر مسدسه فى وجوههم ؛ ليطالبهم بكل ما يحملونه من نقود قليلة ، كما حدث مرة أو مرتين من قبل ، ثم لم يلبث الجميع أن تنفسوا الصعداء ، عندما أغلقت أبواب المترو ، وواصل طريقه ، مبتعدًا عن حىّ الجريمة ، ونسى الركاب أمر (جيهان) ، أو تناسوه ، وهم يهزون أكتافهم ، قائلين لأنفسهم : إنها تستحق كل ما يمكن أن يصيبها ، ما دامت قد أتت بقدميها إلى المكان ..

أما (جيهان) نفسها ، فعلىالرغم من معرفتها بمدى وحشية وخطورة ذلك المكان ، الذى غادرت فيه مترو الأنفاق ، إلا أنها ظلت هادئة بسيطة ، وهى تعدل تصفيفة شعرها ، أمام مرآة نصف محطمة ، دون أن تلقى بالاً لما حولها ، كما لو أنها داخل منزلها ، الذى تحميه عشرة أجهزة إنذار حديثة .

وعلى بعد خمسة أمتار منها فحسب ، مال رجل غليظ الملامح على أذن زميله ، وهمس فى سخرية :

ـ انظر لتلك الفاتنة .. من تتصور نفسها ، حتى تقف لتتجمل هنا ، وكأنها لا تبالى بسطوتنا وسمعتنا .

ارتسمت على شفتى زميله ابتسامة خبيثة ، وهو يقول :

- أو أنها تبالى بها ، وتسعى إليها .

قهقه الأول ضاحكًا ، وهو يهتف :

- أيها العربيد ...

شاركه زميله ضحكة مجلجلة ، تردد صداها عبر ممر المترو ، إلا أن (جيهان) لم تلتفت إليهما قط ، وكأنها لاتشعر حتى بوجودهما ، مما استفزهما أكثر ، فلكز الأول زميله بمرفقه ، قائلاً :

- تلك الحقيرة تتعمد تجاهلنا .. يبدو أنها تحتاج إلى من يلقنها درسًا قاسيًا .

ابتسم الثانى ابتسامة خشنة قاسية ، وهو يقول :

- إننى أتوق إلى هذا .. هيا بنا .. سنجعلها تندم على هبوطها فى هذه المحطة ..

اتجها نحوها مباشرة ، وجذبها الأول من كتفها ، قائلاً فى غلظة :

- حقيبتك تروق لى كثيرًا يا فتاتى .

التفتت إليهما (جيهان) فى هدوء ، ومنحتهما نظرة باردة ، وهى تقول :

- حقًا ؟!. يمكننى أن أمنحك اسم المتجر ، الذى ابتعتها منه إذن .

تبادل الرجلان نظرة ساخرة ، قبل أن يجذب الثانى الحقيبة، قائلاً :

- احتفظى بالاسم أيتها المتحذلقة ، فنحن لا نحب أن ندفع نقودًا ، مقابل ما نحصل عليه .

أدهشهما أن ارتسمت على شفتى (جيهان) ابتسامة جذلة ، وهى تتشبث بالحقيبة ، قائلة :

- آه .. فهمت وجهة نظركما ..

ثم ركلت ساق الأول بغتة ، مستطردة :

- وإليكما وجهة نظرى .

أطلق الرجل صرخة ألم ، وانحنى ليمسك ساقه ، ولكنها وثبت تركله فى أنفه ، وتجبره على الاعتدال ، ثم هوت على فكه بلكمة كالقنبلة ، ألقته مترين إلى الخلف ، قبل أن يسقط فاقد الوعى ، فاستل زميله خنجره فى سرعة ، هاتفًا :

- أيتها اللعينة .. لقد ..

وثبت تركل الخنجر من يده ، قائلة :

- أخطأت عندما وصفتنى باللعينة .

ثم دارت حول نفسها ، وركلته فى أنفه ، مستطردة :

- فهذا الأسلوب لايصلح لمخاطبة آنسة رقيقة مثلى .

تراجع الرجل ، وهو يطلق صرخة ألم غاضبة ، فضربته بحقيبتها فى وجهه ، مضيفة :

ـ ثم إنه يغضبنى بحق .

سقط الرجل على ظهره ، ولكنه قفز واقفًا على قدميه فى سرعة لا تتناسب مع ضخامته ، وهو يصرخ :

ـ ستدفعين الثمن أيتها الحقيرة .

قالها ، وهو ينتزع من جيبه مسدسًا كبيرًا و ..

« ألم تسمع ما قالته الآنسة ؟!.. » .

اخترقت العبارة أذنيه بصوت صارم مخيف ، فى نفس اللحظة التى قبضت فيها أصابع فولاذية على معصمه ، ولوته بحركة سريعة ، جعلته يطلق صرخة ألم ، ويفلت المسدس على الرغم منه ، وقبل أن يدرك من فعل به هذا ، هوت لكمة كالصاعقة على فكه ، مع نفس الصوت الصارم ، وهو يضيف :

ـ هذا الأسلوب لا يصلح لمخاطبة مثلها .

ابتسمت (جيهان) فى ارتياح ، عندما سقط الرجل فاقد الوعى ، تحت قدمى (أدهم) ، وهتفت فى حرارة :

ـ فى الوقت المناسب تمامًا كعادتك .

ابتسم (أدهم) ، قائلاً :

ـ أتعشم أن أحافظ على هذه السمة دائمًا .

تأبطت ذراعه بحركة عفوية ، وهى تقول :

ـ أنا واثقة من أنك ستفعل ، ولكننى أتمنى أن يكون موعدنا التالى فى مكان أكثر رومانسية .

أزاح يدها فى رفق ، وهو يقول فى جدية :

ـ المكان يناسب خطوتنا التالية تمامًا .

تضرَّج وجهها بحمرة الخجل ، على الرغم من أسلوبه المهذَّب ، وقالت فى شىء من العصبية :

ـ هل يحتفظون بالسفير وزوجته هنا ؟

هزّ كتفيه ، قائلاً :

ـ ربما ، ولكن أحد الذين شاركوا فى عملية اختطافهما يعيش فى هذه المنطقة ، وأعتقد أننا لو توصلنا إليه ، فربما قادنا هذا إلى السفير وزوجته ، أو إلى (منى) .

تهدَّج صوته ، وهو ينطق الاسم الأخير ، فخفق معه قلب (جيهان) ، وارتجفت شفتاها ، وكادت الدموع تقفز من عينيها ، حتى أن صوتها احتقن على نحو واضح ، وهى تقول :

ـ ومن هذا الشخص ؟

أجابها وهو يتجه معها إلى مخرج المكان .

ـ اسمه (خوزيه ماسياس) ، وهذا كل ما أعرفه عنه فى الوقت الحالى .

سألته فى عصبية :

- وهل تعتقد أن هذا يكفى ؟
أومأ برأسه إيجابًا ، وقال :
- نعم .. فى هذا العالم يكفى الاسم ، لمعرفة الكثير عن أى شخص يحترف الإجرام ، وخاصة مادمنا نحمل رسمًا واضحًا له .
سألته ، وهما يغادران المكان بالفعل :
- لماذا لم تتوصل الشرطة إليه إذن ؟
هزّ كتفيه ، قائلاً فى سخرية .
- ربما كان لديهم أسبابهم .
اتجهت الأنظار كلها إليهما فى حذر ، فقد بديا بزيهما الأنيق أشبه بدائرة بيضاء ، وسط مساحة شديدة السواد ، وخاصة عندما تخليا عن الطريق الرئيسى ، وانحرفا إلى شارع جانبى ، جذب خلفهما ثلاثة من المجرمين ، صاح بهما أحدهم وهو يلوّح بمسدسه فى وجهيهما :
- نقودكما .. نريد نقودكما على الفور ، وإلا نسفنا رأسيكما .
تجاهلته (جيهان) تمامًا ، وهى تقول لـ (أدهم) بالعربية .
- أيتكرّر هذا الموقف كثيرًا هنا ؟
أجابها فى سخرية :

- إنهم يتصوّرون أننا وقعنا فى الفخ ، عندما دلفنا إلى هذا الشارع الجانبى ، ولن يتصوّر أحدهم قط أنهم الذين سعوا إلى فخنا .
توتر الرجال الثلاثة ، مع ذلك الحديث باللغة العربية ، فهتف الرجل الذى يصوّب إليهما المسدس ، وهو يجذب إبرته فى عصبية وغضب :
-- لا تتظاهرا بأنكما تجهلان الإنجليزية .. نريد نقودكما وإلا ..
قاطعه (أدهم) بغتة ، بلغة إنجليزية ، ولكنة أمريكية سليمة تمامًا :
- أين نجد (خوزيه ماسياس) ؟
انعقد حاجبا الرجل فى توتر ، وتبادل نظرة عصبية مع زميليه ، قبل أن ينقضّ على (أدهم) ، ويلصق فوهة مسدسه بعنقه ، صائحًا :
- ماذا تريد من (خوزيه) يا رجل ؟ .. أجب وإلا ..
قاطعه (أدهم) مرة ثانية ، وشفتاه تحملان ابتسامة ارتياح ساخرة :
- آه .. إذن فأنت تعرفه .. عظيم .. هذا يوفّر الكثير من الوقت والجهد .
ارتفع حاجبا الرجل فى دهشة ، وقبل أن يخفضهما ،

كانت يد (أدهم) اليسرى تضرب معصمه ، وتبعد فوهة المسدس ، فى نفس اللحظة التى انطلقت فيهـا يده اليمنى كالقنبلة ، لتهشّم أنفه ، وتحيله إلى كتلة حمراء ، اختلط لحمها بدمها ..

ومع حركة (أدهم) ، انقضّت (جيهان) على المجرم الثانى ، ولكمته فى أسنانه مباشرة ، وهى تقول :

- لسنا نحمل نقودًا كافية .. هل تكفى اللكمات ؟!

تراجع المجرم الثالث فى ذعر ، مع ذلك الهجوم المباغت ، وصرخ بكل ما يملك فى قوة :

- النجدة .. النجدة يا رفاق .

ولم تكد صرختـه تنطلق ، حتـى انـتزع أكـثر مـن عشرين مجرمًا مسدساتهم مـن أحذيتهـم ، وانطلقـوا انطلاقه رجل واحد ، نحو ذلك الشارع الجانبى ، الذى يقف فيه (أدهم) و (جيهان) ..

وانطلقت الرصاصات .





١٠ - قبضة العدو ..

ضغط المفتش (هانكس) ضمـادة الثلـج ، علـى تلك الكدمة فى فكه ، وهو يقول فى حنق :

- يا لجرأته ! .. ذلك الرجل حطّم كل قواعد العقل والمنطق ! .. كيف يأتى بنفسه إلـى هنـا ، وينـتزع منـا المعلومات ، ثم يغادر المكان ، بعد أن يخدعنا جميعًا .. إنها فضيحة .

هزّ أحد الآخرين رأسه ، على نحو يوحى بأن الذهول لم يفارقه بعد ، وهو يقول :

- ولكنه كان نسخة طبق الأصل منك يا (هانكس) .. ملامحه .. صوته ..

إننى لم أر ، بل ولـم أتصوّر فـى حياتى كلها تنكرًا بهذا الإتقان .

وقال آخر فى انبهار :

- والثقة الزائدة ، التى تصرّف بها ، أربكتنا جميعًـا ، فلم ننتبه إلى خدعته ، إلا بعد أن غادر المكان بالفعل .

التفت إليهما (هانكس) ، هاتفًا فى غضب :

- حسن .. متى سيبدأ الجميع فى كتابة الملحمة الأسطورية ، لتمجيد ذلك الرجل ؟!.. هل نسيتم أنه خصم لنا ؟

تبادلوا نظرة صامتة ، قبل أن يهزّ أحدهم كتفيه ، قائلاً :

- حتى الخصم يستحق الإعجاب فى بعض الأحيان .

صاح (هانكس) ، فى حنق :

- فليكن .. احتفظ بهذا الإعجاب فى أعماقك إذن ، ولا تفصح عنه هنا ، وهذا ينطبق عليكم جميعًا .. المفترض أن تشعروا بالخجل ، بعد فراره منكم ، وليس بالانبهار بما فعله .

غمغم أحدهم فى خبث :

- لقد بدأ رحلة الهروب من مكتبك أيها المفتش .

صاح به (هانكس) :

- ماذا تقول ؟

ابتسموا جميعًا ، فى حين أشاح صاحب القول بوجهه ، مغمغمًا بمزيد من الخبث :

- لم أقل شيئًا .

انعقد حاجبا (هانكس) فى حنق ، وهو يدلف إلى حجرة مكتبه ، ويلقى جسده على أقرب مقعد إليه ، وهو

يضغط ضمادة الثلج على كدمته أكثر ، متمتمًا :

- اللعنة !

لحق به أحد زملائه ، وسأله فى اهتمام :

- ماذا ستفعل الآن ؟

هزّ رأسه نفيًا ، وهو يجيب فى ضيق :

- لست أدرى .. لا يمكننا إذاعة ما حدث هنا ، فهى فضيحة بكل المقاييس الأمنية .

وتنهّد فى عمق ، وهو يشرد ببصره بضع لحظات ، قبل أن يضيف فى اهتمام :

- ثم إن حديثه يثير اهتمامى بالفعل ، ويمكنك القول بأنه نجح فى جذب انتباهى إلى قضية (إيدن) و (فريمان) .

سأله زميله :

- أتعتقد أنهما كانا يعملان لحساب جهة ما ؟

صمت (هانكس) لبضع لحظات أخرى ، قبل أن يومئ برأسه إيجابًا ، ويقول :

- بعد مراجعة الموقف كله ، أكاد أكون واثقًا من أنهما كذلك .

ثم أشار بيده ، مستطردًا فى حزم :

- ومن أنهما ليسا الوحيدين ..

ارتفع حاجبا زميله فى دهشة ، قبل أن يقول :

ـ رباه ! .. هل تعنى أنها شبكة جاسوسية كاملة ؟

أومأ (هاتكس) برأسه ، قائلاً :

ـ لن يدهشنى هذا .

هزّ زميله رأسه فى حيرة ، قبل أن يسأله فى اهتمام :

ـ وهل جاءِ ذلك الرجل إلى هنا خصيصًا ، ليخبرك بهذا الأمر ؟

عاد حاجبا (هاتكس) ينعقدان ، وهو يقول :

ـ كلاً .. ليس لهذا السبب بالتحديد .. لقد أراد الحصول على معلومات بشأن (خوزيه ماسياس) .

ارتفع حاجبا زميله بدهشةٍ للمرة الثانية ، وهو يقول :

ـ (خوزيه ماسياس) ؟! ومن (خوزيه) هذا ؟

زفر (هاتكس) فى حرارة ، قبل أن يقول :

ـ هذا يدهشنى أيضًا ، ففى هذا الصباح فقط ، لم تكن لدينا أية فكرة عن (خوزيه ماسياس)هذا ، ثم تلقينا فجأة ، بوساطة البريد الإليكترونى(*) صورة لذلك المدعو

(*) البريد الإليكترونى : (E. Mail) : وسيلة اتصالات بريدية حديثة ، تعتمد على ربط شبكة الهاتف بأجهزة الكمبيوتر ، لنقل الصور والمعلومات بسرعة فائقة .

(ماسياس) ، مع سيل من المعلومات عنه ، من مصدر مجهول ، وبعدها بساعة واحدة ، وقبل أن يصل الرجال الثلاثة ، الذين أرسلناهم خلفه ، إلى ناصية الشارع ، وصل (أدهم صبرى) ، منتحلاً شخصية (تيم بارتون) ، ليطلب هذه المعلومات .. ألا يبدو لك هذا عجيبًا ، ومثيرًا للدهشة والشك والحيرة ؟!

وافقه زميله بإيماءة من رأسه ، وقال :

ـ هذا صحيح .. من الواضح أن أحدهم أرسل إلينا هذه المعلومات خصيصًا ، لأنه واثق من أن (أدهم صبرى) هذا سيسعى إليها ..

أشار (هاتكس) بسبابته ، وهو يقول فى حسم :

ـ ليس لدىّ أدنى شكّ فى هذا ، ولكن السؤال الآن هو من ؟ .. من يفعل هذا ؟ .. ولماذا ؟!

تطلّع إليه زميله فى صمت ، والسؤالان يدويان فى رأسه ..

من ؟! ..

ولماذا ؟! ..

* * *

انطلقت ضحكة السنيورا عالية مجلجلة ، وهى جنف جسدها بمنشفة كبيرة أنيقة ، إثر صعودها من حوض

السباحة ، قبل أن تسترخى فوق مقعد وثير ، من المقاعد المخصَّصة للمكان ، وتقول لمساعدتها فى جذل :

ـ أنا فعلت هذا بالطبع .. عملائى فى صفوف الشرطة أرسلوا لى ذلك الرسم ، الذى صنعه رسَّامهم لـ (خوزيه) ، وأدركت أن (أدهم صبرى) سيحصل عليه ، من خلال عملاء المخابرات المصرية ، وأنه سيسعى للحصول على معلومات عن (خوزيه) ، فوضعت نفسى فى موضعه ، وحاولت أن أتقمَّص شخصيته وأفكِّر بأسلوبه ، مما قادنى إلى أنه سيحاول الوصول إلى المباحث الفيدرالية ، أو المخابرات المركزية ، للحصول على مثل هذه المعلومات ، فأرسلتها إلى كليهما ، ليتوصَّل هو إليها ، وينطلق خلف (خوزيه) .

بدت الدهشة على وجه مساعدتها ، وهى تسألها :

ـ ولماذا هذا الأسلوب المعقَّد يا سنيورا ؟!.. كان بإمكانك إرسال تلك المعلومات إلى المخابرات المصرية مباشرة ، وسترسلها حتمًا إليه أينما كان !

مطَّت السنيورا شفتيها ، قائلة :

ـ هذا يثبت أن الزعامة ليست سهلة ، وقيادة الأمور ليست بالعمل الذى يمكن أن يقوم به أى شخص .

ثم اعتدلت تواجهها ، مكملة :

ـ لو أننى أرسلت تلك المعلومات إلى المخابرات المصرية مباشرة ، لراودتهم آلاف الشكوك ، التى سينقلونها حتمًا إلى (أدهم) ، فيتحرَّك فى حذر ، ويشكّ فى كل موطئ لقدميه ، فنخسر أهم هدف نسعى إليه ، فى هذه اللعبة كلها .

ومالت نحوها أكثر ، لتضيف صوت كالفحيح :

ـ المفاجأة !.

تطلَّعت إليها مساعدتها فى انبهار ، فأطلقت السنيورا ضحكة أخرى ، وتراجعت لتسترخى ثانية فى مقعدها ، مستطردة فى زهو :

ـ أما عندما يسعى هو خلف المعلومات ، ويحصل عليها بشق الأنفس ، ويقاتل للوصول إلى (خوزيه) ، فسيبدو له الأمر طبيعيًا للغاية ، حتى أنه لن ينتبه كثيرًا إلى الفخ ، إلا عندما يصبح داخله بالفعل، وعندئذ ..

فرقعت سبَّابتها وإبهامها ، عند هذه النقطة ، وأطلّ بغض الدنيا كلها من عينيها ، وهى تكمل فى مقت ..

ـ سيحدث ما أسعى إليه منذ البداية .

وكما أطلّ البغض والمقت من عينيها وصوتها فى سرعة ، انسحبا كالبرق ، وهى تسبل جفنيها ، وتسترخى

فى مقعدها ، وشفتاها تحملان ابتسامة كبيرة ..
ابتسامة ظفر ..
وثقة ..

* * *

عندما انقضّ جيش المجرمين على ذلك الشارع الجانبى ، الذى يقف فيه (أدهم) و (جيهان) كانوا يتصوّرون أنهم يواجهون مغامرين عاديين ، جرءوا على التصدى لزملائهم الثلاثة ، الذين حاولوا الاستيلاء على نقودهما ..

ولذلك كان عامل المفاجأة شديد العنف بالنسبة لهم ، عندما جذب (أدهم) إليه المجرم الأوّل ، الذى يعرف (خوزيه) ، واستلّ من جيبه مسدسًا بسرعة البرق ، وهو يقول فى سخرية :

- مرحى .. يبدو أن هؤلاء الأوغاد كالنمل ، تجذبهم الرائحة التى يطلقها كشافوهم ، عندما يعثرون على السكر .

ومع قوله ، انطلقت رصاصاته، ورصاصات (جيهان) .

وعند هذه النقطة بالتحديد ، تجلّى الفارق الضخم ، بين المحترف الحق ، ومجرم الشوارع ، الذى لم يتلق أية تدريبات فعلية ..

لقد انطلقت رصاصات (أدهم) و (جيهان) ، لتطيح بستة من مسدسات المجرمين ، فى اللحظة الأولى ، و (جيهان) تهتف :

- كنت أتمنى أن أطلق النار على رءوسهم مباشرة ، لولا أنك تمنعنى من هذا دائمًا يا رئيسى المباشر .

أجابها (أدهم) ، وهو يجذب الرجل الفاقد الوعى ، نحو مدخل جانبى للبناية الضخمة ، التى تحتل ناصية الشارع :

- ليس من الضرورى أن نتحوّل إلى مجرمين ، لنتصدى للجريمة يازميلتى العزيزة .

تراجع المجرمون فى انزعاج ، مع رد الفعل المباغت لـ (أدهم) و (جيهان) ، وامتلأت نفوسهم بالدهشة ، مع تلك الرصاصات ، التى تطيح بمسدساتهم ، دون أن تخترق أجسادهم ، ثم لم تلبث طبيعتهم الهمجية أن طرحت خلفها كل التساؤلات والانفعالات ، وعادوا ينقضون فى وحشية ، فى نفس اللحظة التى اختفى فيها (أدهم) و (جيهان) مع أسيرهما ، داخل ذلك المدخل الجانبى و (جيهان) تقول فى حدة .

- إذن فأنت تعتقد أن إطلاق النار على رأس مجرم يهاجمك ، ويسعى لنسف جمجمتك ، هو عمل إجرامى ؟..



دفعها (أدهم) أمامه ، وهو يحمل أسيره ، ويقفز عبر درجات السلم ..

دفعها (أدهم) أمامه ، وهو يحمل أسيره ، ويقفز عبر درجات السلم ، قائلاً فى صرامة :

ـ بل أعتقد أن كل إناء ينضح بما فيه ..

انطلقا يصعدان فى درجات السلم عدوًا ، ووقع أقدام المجرمين يتصاعد ، وهم يقتحمون المبنى ، فقالت (جيهان) :

ـ طبقًا للحسابات البسيطة ، ألا تعتقد أنه كان من الأجدى أن نقلل عدد المطاردين ، بنسف بعض الرءوس ؟

توقّف بغتة ، قائلاً فى حزم :

ـ أتفق معك تمامًا فى ضرورة تقليل عدد المطاردين ؟

ثم أمال مسدسه ، ليطلق النار نحو المجرمين ، الذين يطاردونهما عبر السلم ، مستطردًا :

ـ ولكننى أختلف معك فى حتمية نسف الرءوس .

اخترقت رصاصاته سيقان المجرمين ، فسقطوا على السلم ، وارتطم بهم رفاقهم ، وساد الاضطراب والارتباك ، فهزّت كتفيها ، وهى تواصل العدو ، قائلة :

ـ ولماذا لم نفعل هذا منذ البداية ؟

أجابها وهو يلحق بها ، حاملاً أسيره :

ـ لم يكن هذا ليعوقهم فى الشارع ، ولكنه يوقفهم لبعض الوقت على درجات السلم .

أشارت إلى أعلى ، هاتفة :
ـ عظيم .. ولكن إلى أين تظن ستقودنا هذه المطاردة ؟!
هل تنتظرنا طائرة على السطح مثلاً ؟ أم أننا سننتحر بإلقاء أنفسنا من فوقه ؟
ابتسم ، قائلا :
ـ لا هذا ولا ذاك .. إننا لن نصل إلى السطح أبدًا .
كانا قد بلغا أحد طوابق المبنى ، فاستطرد فى حزم :
ـ امنعيهم من الوصول إلينا ، حتى أحصل على ما نحتاج إليه من معلومات .
استدارت تحتمى بحاجز السلم ، وتطلق النيران على السيقان ، قائلة فى ضجر :
ـ أما زال إطلاق النار على الرءوس محظورًا ؟!
أجابها فى صرامة ، وهو ينزل أسيره عن كتفه :
ـ وبدون أية استثناءات ؟
مطت شفتيها ، وواصلت إطلاق النار ، مغمغمة :
ـ العمل معك مرهق بالفعل .
تجاهل تعليقها هذه المرة ، وهو يخرج من جيبه زجاجة نشادر ، انتزع غطاءها وأدناها من أنف المجرم ، الذى سعل فى شدة ، وهو يستعيد وعيه ، فاستقبله صوت (أدهم) الصارم ، وهو يسأله :

ـ أين أجد (خوزيه ماسياس) ؟
حدق المجرم فى وجهه لحظة ، قبل أن يهتف :
ـ لست أعرف شيئا عن ...
قاطعته لكمة قوية من قبضة (أدهم) ، أصابت فكه مباشرة ، وحطمت اثنتين من أسنانه الأمامية ، فصرخ مذعورًا :
ـ لا يمكننى أن أخبرك .. سيقتلنى (خوزيه) لو فعلت .
أجابه (أدهم) فى صرامة :
ـ وسأقتلك أنا لو لم تفعل .
حدق المجرم فى قبضة (أدهم) المضمومة فى رعب ، وتردد لحظة ، قطعها (أدهم) ، قائلاً فى صوت مخيف :
ـ هيا .. ليس لدينا الوقت كله لنستمع إليك .
حسمت تلك الصرامة تردد الرجل ، فاندفع يقول فى ارتياع :
ـ لن تجد (خوزيه) هنا .. لقد أرسله الزعيم لمقابلة وسيط كولومبى ، من أجل صفقة مخدرات جديدة .
سأله (أدهم) فى صرامة :
ـ وأين سيقابل ذلك الوسيط ؟
زاغت عينا الرجل ، وتردد بشدة ، فضم (أدهم) قبضته ثانية ، وهو يقول فى حدة غاضبة :

- قلت لك : ليس لدى وقت للانتظار .

أسرع الرجل يهتف فى هلع :

- سيقابله هناك ، عند السيّدة .

انعقد حاجبا (أدهم) فى شدة ، وسرت موجة من التوتر فى جسده ، وهو يسأله :

- أية سيّدة ؟

أجاب الرجل فى سرعة :

- السيّدة التى تحمل الشعلة .. أعنى عند التمثال .. تمثال الحرية(*)

هتفت (جيهان) فى سخرية :

- ياله من مكان رومانسى ، لإتمام صفقة مخدرات !

ثم أردفت ، وهى تطلق رصاصاتها نحو المجرمين :

- وبالمناسبة .. إنك لم تبتعد عن الحقيقة كثيرًا ، عندما شبّهت هؤلاء الأوغاد بالنمل ، فهم يتوافدون على

(*) تمثال الحرية : تمثال ضخم ، مقام فى جزيرة عند مدخل ميناء (نيويورك) ، أعدّه الفنان الفرنسى (بارتولدى) ، تخليدًا لذكرى الثورتين ، الأمريكية والفرنسية ، يبلغ ارتفاعه نحو ٤٦ مترًا ، وصنع كله من النحاس ، على هيئة امرأة ، تحمل بيدها مشعلاً ، وارتفاع قاعدته ٤٥ مترًا ، أهدته الرابطة الفرنسية الأمريكية للولايات المتحدة عام ١٨٨٤ م ، وأصبح رمزًا قوميًا عام ١٩٢٤ م .

المكان بأسرع مما أسقطهم ، ولقد أصبح هناك جيش حقيقى منهم ، يحاول اللحاق بنا ، ولم يعد لدى سوى خزانة رصاصات إضافية واحدة .

أجابها فى حزم :

- ربما لا تحتاجين إليها ..

قالها ، وهوى على فك المجرم بلكمة عنيفة ، أسقطته فاقد الوعى، ثم نهض واقفًا ، وأخرج من جيبه قنبلة ، ارتفع لمرآها حاجبا (جيهان) ، وهى تقول :

- عجبًا !.. فيم كان حديثك عن الحياة ، وضرورة الحفاظ عليها إذن ؟!

أجابها فى حزم ، وهو ينتزع صمام الأمان من القنبلة :

- إنها ليست قنبلة عادية .

نطق عبارته ، وهو يلقى القنبلة نحو جيش المجرمين ، الذى يحاول تجاوز رصاصات (جيهان) ، ليصل إليهما ، ويسحقهما سحقًا ..

وفى رعب هائل ، صرخ أحد المجرمين :

- ياللشيطان ! .. إنها قنبلة .

لم تكد صرخته تنطلق ، حتى تضاعف الهرج والمرج فى المكان ، وانطلق المجرمون يحاولون الفرار ،

فى أكبر فوضى رأتها (جيهان) فى حياتها ، دون أن يبالى أحدهم بالآخرين ، الذين سقطوا على درجات السلم ، وداستهم الأقدام ، وحطمت منهم الصدور والضلوع والأعناق ..

وفى سخرية ، قالت (جيهان) :

ـ فهمت اللعبة .. إنها مجرد قنبلة زائفة ، لإثارة الذعر والفزع بينهم .

ابتسم (أدهم) فى هدوء ، قائلاً :

ـ خطأ .

ولم يكد ينطق العبارة ، حتى انفجرت القنبلة .

ومع انفجارها ، غمرت سحب الدخان الكثيفة المكان ، وتعالى سعال المجرمين مع تضاعف ذعرهم وارتباكهم ، فى حين ارتفع حاجبا (جيهان) فى دهشة ، وهى تهتف :

ـ قنبلة دخان ؟! .. عجبًا ! .. ولكنها لا تشبه أية قنابل دخان رأيتها من قبل !!

جذبها من يدها ، وهو يقول :

ـ قلت لك : إنها ليست قنبلة عادية ..

سألته ، وهى تعدو إلى جواره ، إلى حيث يقودها :

ـ ومن أين حصلت عليها ؟

ابتسم ، قائلاً :

ـ تذكرى أيتها النقيب .. أهم مبدأ فى عالم المخابرات ، هو أن المعرفة دائمًا بقدر الحاجة .

قالت فى حنق :

ـ وهل ينطبق هذا على زملاء العمل ؟

ضحك قائلاً :

ـ بالتأكيد ..

ثم قادها عبر ممر طويل إلى مبنى آخر ، فهتفت فى دهشة :

ـ ما هذا بالضبط ؟

أجابها بسرعة :

ـ معظم المبانى هنا على هذه الصورة .. كل مبنيين متجاورين يتماثلان تقريبًا ، ويربطهما ممر كهذا .

انعقد حاجباها ، وهى تقول :

ـ من الواضح أنك كنت تعرف هذا منذ البداية .

أجابها فى بساطة ، وهو يقودها إلى الطابق السفلى :

ـ بالطبع .. عيبك أيتها النقيب أنك لم تدركى بعد أننى لا أتصرف قط على نحو عشوائى .. هل تصورت أننى وصلت إلى هنا قبلك ، وأضعت الوقت فى انتظارك ، دون أن أفعل شيئًا ؟! إننى لم أدرس المنطقة فحسب ،

ولكننى اخترت أيضًا ذلك الشارع الجانبى ، وأعددت وسيلة الفرار أيضًا .

قالت ساخرة فى عصبية :

ـ وماهى وسيلة الفرار ياسيادة العميد ؟ .. هل سنعدو وسط شوارع المنطقة ، أم نذهب إلى محطة مترو الأنفاق بكل هدوء ، ونستقل المترو إلى قلب (نيويورك) ؟!

ابتسم وهو يفتح بابًا فى الطابق السفلى ، قائلاً :

ـ لا هذا ولا ذاك .. عندى وسيلة أفضل .

اتسعت عيناها فى دهشة ، وهى تحدّق فى السيارة الرياضية الأنيقة ، التى تحتل مكانها داخل مرآب صغير ، وهتفت فى سعادة :

ـ سيارتى .

ألقى إليها مفاتيح السيارة قائلاً :

ـ نعم . هى سيارتك .. هيا .. ستقودينا إلى خارج هذا المكان البغيض .

اتخذت مكانها خلف عجلة القيادة ، وهى تشير إلى باب خشبى ، يسدّ الجدار المقابل ، قائلة :

ـ هل سنفتح هذا الباب أوّلاً ؟

هزّ رأسه نفيًا ، وهو يجيب :

ـ كلاً .. سيفقدنا هذا عامل المفاجآة .

ابتسمت فى شىء من الجذل ، وهى تدير المحرك ، مغمغمة :

ـ هذا صحيح .

ثم ضغطت دوّاسة الوقود ، ورفعت عصا السرعة .. وانطلقت بالسيارة الرياضية ..

وأمام أعين ذلك الجمع من المجرمين ، اخترقت السيارة الباب الخشبى ، وانطلقت وسط أقذر شوارع (نيوريورك) ..

وعلى الرغم من عنف المفاجأة ، هتف أحد المجرمين فى ثورة :

ـ إنهما يحاولان الفرار .

وإثر هتافه ، استدارت فوهات المسدسات كلها نحو السيارة الرياضية ، فغمغم (أدهم) :

ـ يبدو أن الخطر لم ينته بعد يازميلتى العزيزة .. مازلنا فى قبضة العدو .

ولم يكد ينتهى من قوله ، حتى انطلقت رصاصات الجميع نحو السيارة الرياضية ..

وبلا رحمة .

* * *

١١ - الحرية ..

اندفع أحد رجال المباحث الفيدرالية إلى حجرة المفتش (هانكس) ، الذى انهمك فى مراجعة خريطة كبيرة لمدينة (نيويورك) ، وهتف به فى انفعال :

- (هانكس) .. كنت على حق يا رجل (أدهم صبرى) يقاتل فى حى الجريمة الآن .

التفت إليه (هانكس) بحركة حادة ، قائلاً :

- يقاتل .

ثم التقط سترته فى عصبية ، مستطرداً :

- وماذا فعلتم بهذا الشأن ؟

أجابه الرجل فى حماس :

- ليس لنا رجال هناك ، ولا يمكننا إضاعة الوقت ، لذا فقد اتصلت بأقرب قسم للشرطة ، وطلبت منهم ..

قاطعه (هانكس) بهتاف ساخط :

- قسم شرطة ؟! .. وهل تتوقع أن يفعل رجال الشرطة شيئاً فى هذا الشأن ؟! .. إنهم يخشون الاقتراب من مثل هذه الأماكن ، فى الظروف العادية ، فما بالك بما سيكون عليه أمرهم ، عندما تشتعل الحرب هناك .

هتف الرجل فى دهشة :

- الحرب ؟! .. إنه مجرد قتال ، بين (أدهم صبرى) هذا وزمرة من المجرمين .

لوح (هانكس) بسبابته فى وجهه ، قائلاً فى حدة :

- خطأ يا رجل .. عندما يرغب رجل مثله فى مواجهة المجرمين فى عرينهم ، فإنه لا يكتفى بقتال بسيط ، بل يشن حرباً شعواء .

ابتسم الرجل فى سخرية ، قائلاً :

- عجباً !..كنت تلومنا لأننا نمتدح الرجل .

انعقد حاجبا (هانكس) فى شدة ، وهو يهتف :

- لست أمتدحه .. إنما أذكر ما يمكن أن يفعله فحسب .

ثم اندفع مغادراً حجرته ، ومستطرداً فى انفعال :

- وعلى أية حال ، لن تكون هناك جدوى من مناقشة مثل هذا الأمر ، إلا بعد أن نلقى القبض عليه ، قبل الوصول إلى مرحلة التدمير الشامل .

لحق به الرجل ، وهو يتساءل :

- هل تعتقد أن المجرمين سيدمرونه تماماً هناك ؟!

التفت إليه (هانكس) ، قائلاً فى حدة :

- لم أكن أعنيه بالتدمير الشامل

ثم عاد يواصل اندفاعه ، مستطردًا فى عصبية :

ـ كنت أعنيهم .

واتسعت عينا زميله فى دهشة عارمة ..

دهشة بلا حدود ..

* * *

لم تهتز ذرة واحدة فى جسد (جيهان) ، وهى تنطلق بسيارتها الرياضية نحو المجرمين ، الذين يطلقون عليها النار بلا رحمة أو هوادة ، فى حين ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتى (أدهم) ، عندما أصابت الرصاصات جسم السيارة وزجاجها ، دون أن تنجح فى اختراقهما ، وإنما ارتدّت عنهما فى عنف ، أصاب المجرمين بدهشة عارمة ، و (جيهان) تضحك فى مرح ، قائلة :

ـ ما رأيك فى المفاجأة ؟.. لقد ابتعت سيارة رياضية مصفّحة هذه المرة !

ثم هتفت مستطردة ، وهى تنحرف بالسيارة فى حركة حادة :

ـ ولكنك لم تنحنِ لتفادى الرصاصات !.. هل كنت تعلم أن السيارة مصفّحة ؟!

أجاب فى بساطة :

ـ هل كنت تتوقعين منى أن أقودها طوال ما يزيد على الساعة ، دون أن أدرك هذا ؟

مطّت شفتيها الجميلتين ، وهى تنطلق مبتعدة عن المجرمين ، الذين واصلوا إطلاق النار على السيارة لبضع لحظات ، قبل أن يلوّحوا بقبضاتهم فى سخط خلفها ، وقالت :

ـ هؤلاء الأوغاد فى معرض السيارات ، أخبرونى أنه من المستحيل تمييزها عن السيارة العادية ..

أجاب فى هدوء :

ـ ليس بالنسبة لمحترف .

ران عليهما الصمت بضع لحظات ، وهى تنطلق فى طريقها ، فى حين أسبل هو جفنيه ، واسترخى فى مقعده ، كما لو أنه مستغرق فى نوم عميق ، فسألته فى حذر :

ـ هل تعتقد أننا سنجد (خوزيه) هذا عند تمثال الحرية بالفعل ؟

غمغم فى خفوت :

ـ ليس أمامنا سوى أن نبحث عنه هناك .

قفز سؤال آخر إلى عقلها ، وانحدر بسرعة إلى لسانها ، ثم توقّف على طرفه مترددًا لبضع لحظات ، قبل أن يثب عبر شفتيها ، قائلة :

ـ وهل تظن أنه سيقودنا إليها ؟

خفق قلبها مع ارتجافة شفتيه ، عندما أشارت إلى (منى) واعتصر حزن بارد كالثلج صدرها ، مع ذلك الصمت ، الذى لاذ به لثوانٍ معدودة ، قبل أن يجيب فى حزم :

ـ لو أن نظريتى سليمة ، فسيقودنا (خوزيه) هذا إلى السفير وزوجته ، وبالتالى إلى (منى) .

ترددت مرة أخرى ، قبل أن تقول فى شىء من العصبية :

ـ هذا لو أنها ما زالت على قيد الحياة ..

انعقد حاجباه فى شدة ، دون أن يفتح عينيه ، وصمت ثوانى أخرى ، قبل أن يقول بلهجة تحمل الكثير من الصرامة :

ـ لو أرادوا قتلها لما اختطفوها فى سيارة إسعاف خاصة مجهزة .

قالت فى توتر :

ـ ربما فعلوا هذا ليتقنوا دورهم فحسب .

أجاب فى خشونة :

ـ ولماذا يبذلون كل هذا الجهد ؟ .. كان يكفيهم أن يطلقوا عليها النار ، فى حجرة العناية المركزة فحسب .

ازدردت لعابها فى توتر ، وألقت نظرة على ملامحه ، التى اكتست بالكثير من الغضب والصرامة ، وهمست فى قلق :

ـ هل أغضبك حديثى هذا ؟

أجابها فى اقتضاب :

ـ كلا .

انتفض قلبها فى صدرها لقوله المقتضب الجاف ، وتمنت لو أوقفت السيارة ، وبكت معتذرة تحت قدميه .

إنها لم تدر حتى لماذا جذبته إلى هذا الحديث ؟!..

لماذا تعمدت الإشارة إلى احتمالات موت (منى) ؟!.

هل تتمنى هذا بالفعل ، فى عقلها الباطن ؟!..

هل تعتقد فى أعماقها أن سبيلها الوحيد إلى قلب (أدهم) هو إزاحة غريمتها عنه ؟!

أفزعتها الفكرة ، وأصابت أعماقها بالذعر ، فانتفضت فى عنف ، وكأنما تحاول إبعادها عن رأسها ، ولكن (أدهم) انتبه لانتفاضتها ، ففتح عينيه ، وتطلع إليها فى دهشة ، قائلاً :

ـ ماذا حدث ؟!

توترت أكثر لسؤاله ، وبحث عقلها فى سرعة عن جواب للفرار منه ، ولكن عقلها لم يهدها إلا إلى أن تقول :

- هل تريد معرفة المعلومات ، التى جمعها رجالنا عن (توماس) ؟

أدرك على الفور أنها تتهرّب من سؤاله ، ولكن الطريق الذى سلكته كان يهمه كثيرًا ، فاعتدل يقول :

- بالتأكيد .. ما الذى عرفوه عنه ؟

ازدردت لعابها ، وهى تحمد الله (سبحانه وتعالى) على اهتمامه ، وأجابت فى سرعة :

- اسمه (توماس كلارك) ، قاتل محترف ، ظلّ لعدة سنوات يعمل لحساب (المافيا) ، ثم استقلّ بعمله منذ أربع سنوات ، وظلّ يعمل لحساب من يدفع الثمن ، قبل أن يلتقى بعدد من القتلة المحترفين الآخرين ، ويفكّرون فى ابتكار شكل جديد للمهنة ، من خلال اتحاد للقتلة المحترفين .

انعقد حاجباه ، وهو يقول فى اهتمام :

- اتحاد للقتلة ؟!.. فكرة جديدة وحقيرة بالفعل .

أجابته فى حسم :

- ولكنها مربحة للغاية .. لقد أصبحوا كلهم من أصحاب الملايين ، وراجت أعمالهم على نحو لم يحدث لكل منهم منفردًا، ثم إنهم خبراء فى مجالهم ، والرجال الثلاثة الذين لقوا مصرعهم هم (تشارلز

دار) ، خبير الأسلحة ، ونظيره (تونى ويلكوكس) ، و (آرثر ميلوسكى) ، خبير المتفجرات ، ومازال الاتحاد يضمّ ستة من الخبراء المحترفين ، بالإضافة إلى (توماس كلارك)

صمت بضع لحظات ، وهو يفكّر فى عمق ، قبل أن يسألها :

- وما علاقة اتحاد القتلة هذا بالسنيورا ؟

هزّت رأسها نفيًا ، مجيبة :

- لم يجد الرجال أية علاقة مؤكّدة ، ولكن الزنجى الذى حاول قتلك فى السجن ، كان يعمل يومًا لحساب (تشارلز دار) ، والمعتقد أنه واصل العمل لحساب اتحاد القتلة ، مع عدد آخر من المتعاونين ، فى شتى المهن والمجالات .

أومأ (أدهم) برأسه متفهمًا ، وقال :

- هذا يبدو واضحًا ، فعندما ألقى الزنجى قدّاحته المشتعلة نحوى ، قال إن السنيورا ترسل إلىّ تحياتها ، وهذا يعنى أنه يعمل لحسابها ، أو لحساب من يعملون لحسابها ، وهذا يقودنا بالتبعية إلى أن اتحاد القتلة يعمل لحساب السنيورا .

ثم تنهّد ، قبل أن يستطرد :

- هذا ما استنتجته منذ البداية .. كل مشكلاتنا تدور حول السنيورا .

اندفعت ، قائلة :

- حتى اختطاف (منى) ؟!..

لم يكد السؤال يتجاوز شفتيها ، حتى تفجّرت فى أعماقها موجة عارمة من الندم والسخط ..

هاهى ذى تعود، دون أن تنتبه ، إلى نفس النقطة ، التى ناورت لتتحاشى الخوض فيها ..

نفس النقطة ، التى يختنق قلبها ، كلما استثيرت ، وتتمزّق مشاعرها مع الحديث عنها ..

واعتصرت نفس القبضة الباردة قلبها ، عندما انعقد حاجباه فى توتر ، وأجاب فى صرامة :

- لو أن السنيورا تفهم طبيعتى جيدًا كما أتوقّع ، فستكون المسئولة عن عملية اختطاف (منى) بالتأكيد .

ثم عاد يسترخى فى مقعده ، ويسبل جفنيه ، على الرغم من اللهجة الصارمة القاسية ، التى حملها صوته ، وهو يضيف :

- ولكنها ستدرك ، بعد فوات الأوان ، أن اختطاف (منى) كان أكبر خطأ ارتكبته فى حياتها كلها .

انتفض جسد (جيهان) ثانية ، وهى تسمع منه هذا ،

وأدركت أن تلك الخطوة الحمقاء ، التى أقدمت عليها السنيورا ، ستعنى الكثير ..

والكثير ..

والكثير ..

* * *

ارتفعت عيون السكان البسطاء ، فى تلك القرية المكسيكية البسيطة، تتطلّع فى بلادة إلى الهليوكوبتر الضخمة ، ذات المروحتين ، التى حلقت فوقهم ، فى طريقها إلى قلب الصحراء المكسيكية ، وتابعوها ببصرهم لبضع لحظات ، حتى اختفت خلف قمم الجبال القريبة ، ثم عادوا لمتابعة أعمالهم ، وكأنما اعتادوا مثل هذا الأمر، الذى يزعجهم بأكثر مما يثير فضولهم .

أما داخل الهليوكوبتر نفسها ، والمجهّزة على نحو خاص ، جعلها أشبه بغرفة عناية مركّزة طائرة ، فقد بدا التوتر على الطبيب الكهل داخلها ، وهو يقيس نبض مريضته ، ويقول :

- هل تبقى أمامنا وقت طويل ، قبل الوصول إلى المستشفى ؟. لست أعتقد أن المريضة ستحتمل كل هذا الجهد ، و ...

قاطعه رجل أنيق بارد الصوت والملامح ، وهو يقول :

ـ لا تقلق أيها الطبيب .. لقد وصلنا تقريبًا .

تبادل الطبيب نظرة متوترة مع الممرضة المصاحبة ، وجفف عن جبهته عرقاً وهميًا ، قبل أن يغمغم مترددًا :

ـ قلقى كله يتركز على المريضة ، فهى تحتاج إلى عناية خاصة طوال الوقت صحيح أن الطائرة الطبية مجهزة للطوارئ ، ولكننى أحتاج إلى أجهزة قياس حيوية دقيقة طوال الوقت ..

أجابه صاحب الصوت البارد :

ـ ستجد كل شىء هناك .

ألقى الطبيب نظرة قلقة عبر النافذة ، على الصحراء الجبلية الممتدة أمامه ، قبل أن يعود لتجفيف عرقه الوهمى ، مغمغمًا :

ـ هل لى أن أعرف ، إلى أين نتجه بالضبط ؟

اكتسى الصوت البارد بشىء من الصرامة ، وصاحبه يجيب :

ـ ستعرف عندما نصل .

أومأ الطبيب برأسه فى استسلام ، وارتسم الخوف فى وضوح على وجه الممرضة ، دون أن يجرؤ أحدهم على التفوه بكلمة واحدة إضافية ، والهليوكوبتر الطبية تواصل انطلاقها ، فوق الصحراء الجبلية المكسيكية ،

حتى اعترض طريقها جبل مرتفع ، فدار قائدها حوله فى مهارة ، و ...

وفجأة ، اتضح المشهد كله ..

قصر مهيب منيف ، رائع التصميم والتشييد ، تحيط به حديقة غنّاء واسعة ، وسور مرتفع ، انتشرت فيه أبراج الحراسة ، التى يطلّ من كل منها كشّاف قوى ، إلى جوار حارس ضخم ، مسلّح بمدفع آلى ..

وبزاوية خاصة فريدة ، انخفض الطيّار بالهليوكوبتر ، أسفل ذلك البروز الطبيعى عند قمة الجبل ، والذى يخفى القصر عن الأنظار ، من معظم الزوايا ، وراح يهبط وسط دائرة كبيرة معدة لهبوطه ، وسط ساحته الفسيحة ..

ولم تكد الهليوكوبتر تستقر وسط المهبط ، حتى أسرع إليها فريق من الرجال ضخام الجثة ، قساة الملامح ، وأحاطوا بها إحاطة السوار بالمعصم ، وهم يصوبون مدافعهم الآلية إليها ، فشهقت الممرضة مذعورة ، وهتف الطبيب فى هلع :

ـ ما هذا ؟! .. أين نحن بالضبط ؟!

ابتسم صاحب الملامح الباردة فى سخرية ، وهو يقول :

ـ لا تقلق يا رجل ..إنها مجرد إجراءات أمن عادية .

شهقت الممرضة مرة أخرى ، وهتف الطبيب فى دهشة مستنكرة :

ـ عادية ؟!

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى اقتحم عدد من الرجال الطائرة ، وبدءُوا فى نقل المريضة وفراشها خارجها فى عناية ، فلحق بهم الطبيب ، هاتفًا :

ـ حذار من أية حركة مفاجئة .. إنها ..

بتر عبارته بغتة ، عندما وجد أمامه امرأة فاتنة ، ترمقه بنظرة تجمع ما بين الصرامة والسخرية ، وهى تقول :

ـ اطمئن أيها الطبيب .. هؤلاء الرجال تدرّبوا على القيام بالعمل .. سيتم نقل المريضة بكل عناية إلى حجرة طبية مجهَّزة بأحدث ما تحلم به من معدات ، وملحق بها حجرتان أخريان ، لإقامتك أنت وممرضتك .

هتفت الممرضة مذعورة :

ـ إقامتنا ؟!..ذلك السيِّد أخبرنا أننا سنرافق المريضة حتى هنا فحسب .

هزّت السنيورا كتفيها فى لا مبالاة ، قائلة :

ـ ربما نسى أن يخبركما أنكما ستقيمان هنا لفترة طويلة .



وبزاوية خاصة فريدة ، انخفض الطيَّار بالهليوكوبتر ، أسفل ذلك البروز الطبيعى عند قمة الجبل ..

ارتسم الذعر أكثر على وجهى الطبيب والممرضة ، وحاول الأول تمالك نفسه ، وهو يقول :

- معذرة يا سيدتى ، ولكن ظروفى المهنية تمنعنى من ....

قاطعته فى صرامة مباغتة :

- ستقيمان هنا، حتى أسمح لكما بالعودة .

ثم أشارت إلى الرجال المسلحين ، مستطردة :

- هيا .. اتخذوا إجراءات الأمن التقليدية .

- جذب الرجال الطبيب والممرضة فى خشونة ، إلى أجهزة الفحص ، فى حين تقدم البارد نحو السنيورا ، وقال :

- كنت أظننا سنحتفظ بتلك الفتاة ، حتى يحين الوقت المناسب .

هزت كتفيها ثانية ، قبل أن تقول :

- رأيت أن وجودها هنا يشعرنى بالأمان أكثر .

مط شفتيه ، وهو يقول :

- فليكن ياسنيورا .. هذا شأنك .. لقد تقاضيت أجرى .

واستدار يزمع الانصراف ، فأشارت قائلة :

- مهلاً .. إنك لم تحصل على كل شىء بعد .

التفت إليها ، وابتسم وهو يسأل :

- هل قررت منحى مكافأة إضافية ؟

بدت له ابتسامتها مقلقة ، وهى تقول :

- بالتأكيد .

ثم التقطت واحدة من سجائرها الرفيعة ، ودستها بين شفتيها الفاتنتين ، وأشعلتها فى بطء ، ونفثت دخانها فى عمق ، قبل أن تستعيد نفس الابتسامة ، التى بعثت فى أعماقه الحذر والقلق ، وتكمل :

- الواقع يا عزيزى أننى أعددت الخطة هذه المرة بمنتهى الدقة ، ودرست كل الاحتمالات ، حتى يمكننى ضمان الفوز ، في معركة لم ينتصر فيها أحد من قبلى .. ولو أنك فى موضعى ، وبذلت كل ما بذلته من جهد ، فلن تقبل فكرة ترك أية ثغرة من خلفك، يمكن أن يتسلل عبرها خصمك .

انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يقول :

- سنيورا .. ما الذى يعنيه قولك هذا ؟

تنهدت فى حرارة مصطنعة ، وهى تجيب فى خبث مخيف :

- لا تسىء فهمى يا عزيزى ، فأنا لا أحمل لك أية ضغائن شخصية ، ولكنها دواعى العمل .. كم يؤسفنى

أن يضطر المرء أحيانًا إلى إتيان ما يبغضه ، من أجل سلامته وأمنه .

توتر الرجل فى شدة ، وهتف :

ـ سنيورا .. لعلك لا تعنين ...

قاطعته بسرعة :

ـ لاتكرهنى ياعزيزى .. إنك الوحيد الذى يعلم أننى نقلت (منى توفيق) إلى هنا ، فماذا لو توصّل إليك (أدهم) بوسيلة ما ؟

هتف الرجل :

ـ لن يفعل .. أقسم لك إنه ..

قاطعته مرة أخرى :

ـ عيبك ياعزيزى أنك لا تستطيع تقدير قوة خصمك ، ويعميك غرورك عن إدراك قدراته ، وهذه نقطة ضعف خطيرة ، تجبرنى على ألا أجازف أبدًا بعودتك إلى (نيويورك) .

اضطرب ، وهو يقول :

ـ هل تعنين أننى سأبقى هنا لبعض الوقت ؟

أجابته على الفور :

ـ كلاّ يا عزيزى .

ثم انعقد حاجباها فى صرامة ، مستطردة :

ـ ستبقى هنا إلى الأبد .

اتسعت عيناه فى ذعر ، وتراجع هاتفًا :

ـ كلاّ .. لا يمكنك أن ..

وعندما قاطعته هذه المرة ، كانت المقاطعة عنيفة بالفعل ..

فبإشارة واحدة من يدها ، انطلقت رصاصات ثلاثة مدافع آلية نحوه ، واخترقت جسده فى مواضع شتى ، و ...

وانتهى الأمر فى لحظة واحدة ..

وفى هدوء عجيب ، هزّت السنيورا رأسها فى أسف ساخر ، وقالت :

ـ معذرة ياعزيزى .. إنها دواعى العمل .

لم تكد تتمّ عبارتها ، حتى هرع إليها أحد الرجال ، حاملاً الهاتف اللاسلكى ، وهو يقول بالأسبانية :

ـ مكالمة عاجلة من (نيويورك) يا سنيورا .

التقطت الهاتف ، قائلة :

ـ أنا السنيورا .. من المتحدّث ؟

انعقد حاجباها ، وهى تستمع إلى محدثها فى انتباه ، قبل أن تقول فى حماس :

ـ عظيم .. إذن فقد وصل إليكم ، وانصرف حاملاً

المعلومات التى طلبها .. رائع .. هذا يعنى أن كل شىء يسير على ما يرام .

ثم أضافت فى صرامة :

- بالطبع يا رجل .. ستحصل على مكافأة سخية .. بالطبع .

وأنهت الاتصال ، وهى تطلق ضحكة ظافرة عالية ، قائلة :

- هذا يثبت أننى مازلت الأبرع .. هأنذا أقود (أدهم صبرى) إلى حيث أريد ، دون أن يدرك هذا .

ثم ضغطت أزرار الهاتف فى انفعال ، ولم تكد تسمع صوت محدثها ، حتى قالت فى حزم صارم :

- اسمعنى جيدًا يا (توماس) .. أنا السنيورا .. أنا أعرف أين تجدون (أدهم صبرى) ، بعد أقل من ساعة واحدة .. لا أريد أية أخطاء هذه المرة .. فليخرج الفريق كله لتنفيذ المهمة ، كما سبق أن طلبت منك .. ولا تستهينوا بقوة وقدرات الخصم قط .. أريد خطة شاملة ومتقنة .. هل تفهم ؟

كاد (توماس) يعتصر سماعة الهاتف بقبضته ، وهو يسألها :

- أين يا سنيورا ؟!.. أين سيتواجد (أدهم صبرى) ؟

أجابته بسرعة :

- على قمة تمثال الحرية .. فى ذلك المكان الذى يؤمّه السوّاح .. سيذهب إلى هناك بحثًا عن رجل وضعته فى طريقه .. لا تضيعوا الفرصة ، وإلا خسرتم كل شىء .

عضّ (توماس) شفتيه فى غيظ ، قائلاً فى صرامة :

- اطمئنى يا سنيورا .. لن نخسر شيئًا هذه المرة .

وأنهى الاتصال وحاجباه المعقودان يعانقان بعضهما فى شدة ، وكيانه كله ينتفض برغبة عارمة ، لم يعد له من هدف سواها ..

أن يقتل خصمه (أدهم صبرى) ..

وبأعنف وسيلة ممكنة .

* * *



١٢ - الحصار ..

« موقفك غير مفهوم يا جنرال (تورنسول) .. غير مفهوم بالمرة .. » .

ضرب وزير الدفاع الأمريكى سطح مكتبه براحته فى غضب ، وهو ينطق هذه العبارة ، وانعقد حاجباه الكثين ، وهو يضيف فى حدة :

- كيف تحاول اقتحام مخزن الأسلحة التجريبية ، على هذا النحو العجيب ، كما لو كنت إرهابيًا حقيرًا أو جنديًا متمرِّدًا ؟

أجابه (تورنسول) متوترًا :

- الموقف كان دقيقًا وحساسًا يا سيِّدى الوزير ، و ...

قاطعه الوزير فى ثورة :

- لا يوجد أبدًا ما يمكن أن تبرِّر به موقفك .. هل تعلم أنه لولا تاريخك العسكرى القديم ، وانتصاراتك السابقة فى عملك ، لم استدعيتك لمناقشتك فى هذا الأمر ، ولألقيت القبض عليك مباشرة ، بتهمة الخيانة العظمى ، ومحاولة الاستيلاء على أسلحة تجريبية سرية .

بدا الغضب على وجه (تورنسول) ، وهو يقول :

- القانون يمنحنى الحق فى إصدار قرارات حازمة ، فى حالات الطوارئ القصوى .

صاح به الوزير غاضبًا :

- هذا صحيح ، ولكن عبارة (حالات الطوارئ القصوى) هذه تنطبق على حالات التمرُّد العامة ، أو محاولة غزو روسية أو كوبية ، وليس على فرار رجل واحد من السجن المركزى .

قال (تورنسول) فى عصبية :

- صحيح أنه رجل واحد ، ولكنه يسبب لنا من المشكلات ما يعجز عنه جيش كامل .. لقد حطَّم فريقًا من أقوى رجالى فى (سويسرا)(*) ، وآخر فى (نيويورك)(**) ، ونجح فى الفرار من السجن المركزى ، وفى السخرية من أقوى نظمنا الأمنية ، ألا تبدو لك هذه حالة من حالات الطوارئ القصوى ؟!

أجابه الوزير فى عنف :

- بل تبدو لى مجرَّد حالة مستعصية ، تحتاج إلى ترتيب خاص للتعامل معها ، وليست حالة طوارئ

(*) راجع قصة (عقارب الساعة) .. المغامرة رقم (١٠٥) .

(**) راجع قصة (الأفعى) .. المغامرة رقم (١٠٦) .

قصوى ، تدفعك لمحاولة انتزاع مشروع (السوبرمان) بالقوة لمواجهتها ..

قال (تورنسول) فى سرعة :

- ولتجربة المشروع من الناحية العملية أيضًا ..

أجابه الوزير فى صرامة :

- المشروع تمت تجربته بالفعل ، خلال المناورة الحية ، التى أقيمت خصيصًا لهذا .

قال (تورنسول) فى حزم :

- التجربة العملية تختلف كثيرًا ، وكلانا يعلم هذا .

انعقد حاجبا الوزير ، ولاذ بالصمت بضع لحظات ، قبل أن يلوّح بيده ، قائلاً فى حنق :

- كلا .. لن نجرى التجربة لاختبار فاعلية سلاح كهذا ضد رجل واحد .

ثم مال إلى الأمام ، مستطردًا فى حدة :

- ألا تدرك يا رجل أن مشروع (السوبرمان) يجعل صاحبه قادرًا على التصدّى لفرقة كاملة مسلّحة ؟! .. أنسيت أننا اختبرناه ضد كتيبة من القوات الخاصة ، فانتصر عليها كلها ؟!.. أبعد كل هذا تطالبنى بتجربته ضد رجل واحد ؟!

شدّ (تورنسول) قامته ، وهو يجيب :

- بل أطالبك بإثبات قدرة مشروعكم السرى العملاق هذا ، على التغلّب على ذلك الرجل .

حدّق الوزير فى وجهه بدهشة مستنكرة ، قبل أن يقول :

- رجل واحد ؟!.. ماذا تقول يا جنرال (تورنسول) ؟

أجابه (تورنسول) فى صرامة :

- أقول : إننى واثق من أن رجلاً واحدًا جيّد التدريب ، مثل (أدهم صبرى) هذا ، يمكنه التغلّب على مشروع (السوبرمان) بشىء من الجهد والإصرار .

التقى حاجبا الوزير فى غضب ، وهو يقول :

- هكذا ؟!

أسرع (تورنسول) يضيف :

- ويمكننى أن أراهن على هذا .

احتقن وجه الوزير فى غضب ، ولوّح بسبّابته فى وجه (تورنسول) ، قائلاً :

- فليكن يا جنرال .. أراهنك أنا أيضًا على أن ..

وبتر عبارته بغتة ، وتراجع لحظة ، قبل أن يلتقط نفسًا عميقًا ، ويقول فى شىء من العصبية :

- هل تتعمّد استفزازى ؛ لتحصل على موافقتى على استخدام مشروع (السوبرمان) ، فى مواجهة ذلك الرجل ؟

هتف (تورنسول) فى حماس :

ـ مطلقًا .. إننى أسعى مثلك للتيقن من قدرة المشروع وكفاءته .

ثم أضاف فى خبث :

ـ أليس هذا أفضل من كشف نقاط ضعفه بغتة ، فى أثناء معركة حاسمة فاصلة ؟!

التقى حاجبا الوزير مرة أخرى ، وتراجع ليجلس على مقعده ، ويشبك أصابع كفيه أمام وجهه ، وهو يتطلّع إلى (تورنسول) بضع لحظات ، قبل أن يقول فى عصبية :

ـ مازلت أشعر بأنك تسعى لاستفزازى .

ثم اعتدل بغتة ، مستطردًا :

ـ ولقد نجحت فى هذا .

والتقط قلمه ، وهو يوقّع تصريحًا بحصول (تورنسول) على مشروع (السوبرمان) ، وهو يضيف فى حزم :

ـ وأتعشم أن تثبت التجربة أنك على خطأ .

برقت عينا (تورنسول) فى ظفر بلا حدود ، وهو يلتقط التصريح ، وخفق قلبه فى قوة ، وقد بدا له أنه أخيرًا يحمل فى يده السلاح اللازم لمواجهة خصمه .

ولسحقه سحقًا ..

* * *

لم يكد (جان زوكرمان) ينتهى من تحميض الفيلم ، الذى أخرجه من آلة التصوير الخاصة بزوجته الراحلة ، حتى أسرع به إلى منضدة الإضاءة الخاصة ، والتقط عدسة مكبّرة ، وراح يفحصه فى عناية ، والمفتش (بابلو) يتابعه فى لهفة واهتمام ، حتى سمعه يهتف فى حماس :

ـ آه .. هاهوذا ..

قفز إليه (بابلو) ، يسأله فى انفعال :

ـ ماذا وجدت ؟

أشار (زوكرمان) فى حرص إلى الفيلم ، قائلاً :

ـ انظر إلى هذا الذى يبدو بين الصخور .. انظر جيدًا ، فأنت لا تجيد قراءة النسخة السلبية ، وسيحتاج منك هذا إلى بعض الجهد .. ألا يبدو لك المبنى واضحًا ؟ هيا .. استخدم العدسة المكبّرة .

التقط (بابلو) العدسة المكبّرة ، وتطلّع بوساطتها إلى الفيلم فى اهتمام بالغ ، ثم انعقد حاجباه فى شدة ، عندما وقع بصره على ذلك الجزء من القصر ، الذى

أحسنت (أنجيل لوبان) التقاطه ، فبدت صورته واضحة جلية ..

وفى انفعال ، هتف المفتش (بابلو) :

- لقد كنت على حق .. كنت على حق بالتأكيد .

ووثب يختطف سمّاعة الهاتف ، ويدير رقم رئيس الشرطة ، فى حين استعاد (زوكرمان) الفيلم ، ووقف يراقبه ، وهو يقول عبر الهاتف فى انفعال :

- مرحبًا يا سيّدى الرئيس .. إنه أنا .. المفتش (بابلو) .. لن تصدّق ما توصّلنا إليه يا سيّدى .. هل تتصوّر أننا عثرنا على آلة التصوير الثانية ؟ نعم .. المصوّرة القتيلة كانت تمتلك آلتى تصوير لا واحدة .. والأدهى أننا عثرنا على فيلم سليم فى آلة التصوير .. نعم يا سيّدى لقد قام زوجها بتحميضه فورًا .. نعم هو أيضًا مصوّر محترف .. هل تعلم ما الذى التقطت المصوّرة صورته ، والذى كان سببًا فى قتلها على الأرجح .. إنه قصر يختفى وسط الصخور ، و ...

بتر عبارته بغتة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وبدا عليه الارتباك ، وهو يغمغم فى توتر :

- ولكن يا سيّدى الرئيس .. معذرة .. سأطيع أوامرك بالطبع ، ولكن هذا الفيلم ربما يكون الدليل الوحيد

على .. آه .. كلا .. لست أناقش أوامرك ياسيّدى الرئيس ، ولكن ..

احتقن وجهه أكثر وأكثر ، وزفر فى عصبية ، قبل أن يتابع :

- فليكن يا سيّدى الرئيس .. فليكن .. سأفعل كل ما تطلبه .

وأنهى الاتصال فى توتر زائد ، وظلّ صامتًا ، يحدّق فى الهاتف بضع لحظات ، قبل أن يلتفت إلى (زوكرمان) ، ويتحاشى النظر إلى وجهه ، قائلاً :

- معذرة يا سنيور (زوكرمان) ، ولكن .

قاطعه (زوكرمان) فى عصبية :

- رئيسك طلب منك كتمان الأمر ، وتدمير النسخة السلبية.. أليس كذلك ؟!

أومأ برأسه إيجابًا فى حرج ، مغمغمًا :

- ربما يبدو لك هذا تعنتًا ، ولكن الرئيس يدرك ما يفعله جيدًا ، ومما لا شك فيه أن ..

قاطعه (زوكرمان) فى حنق :

- لا داعى للبحث عن تبريرات أيها المفتش .. أعلم أن الأمر ليس بيدك ، وأنك مضطر لتنفيذ الأوامر .

تنهّد (بابلو) فى أسف ، ولوّح بكفيه ، قائلاً :



شعر (بابلو) بأسى حقيقى ، وهو يراقب الفيلم ، الذى التهمته النيران ، فى أرضية المعمل الصغير ..

ـ هذا صحيح يا سنيور (زوكرمان) .. لست أملك هنا سوى طاعة أوامر الرؤساء .

عضّ (زوكرمان) شفتيه فى غيظ ، قائلاً :

ـ أعلم هذا أيها المفتش ، ولن أجعل موقفك أكثر صعوبة .

قالها ، وهو يلتقط الفيلم السلبى ، ويشعل قدّاحته ، فسأله (بابلو) فى لهفة لاتخلو من الأسف :

ـ هل ستحرقه ؟

أشعل (زوكرمان) النار فى طرف الفيلم ، قائلاً :

ـ وهل نملك سوى هذا ؟

شعر (بابلو) بأسى حقيقى ، وهو يراقب الفيلم ، الذى التهمته النيران ، فى أرضية المعمل الصغير ، فى منزل (زوكرمان) ، حتى أتت عليه تماماً ، فتنهّد مرة أخرى ، وغمغم :

ـ أكرّر أسفى يا سنيور (زوكرمان) .

أشاح (زوكرمان) برأسه ، قائلاً :

ـ لا عليك .. كان هذا حتمياً .

ربّت (بابلو) على كتفه مشفقاً ، وهزّ رأسه مرة أخرى ، وهو يغادر المكان ، وراقبه (زوكرمان) حتى أغلق باب المنزل خلفه ، ثم ابتسم فى سخرية ، وقال بصوت خافت :

- سامحنى لأننى خدعتك أيها المفتش .

وفتح درج معمله ، والتقط منه الفيلم الحقيقى ، متابعًا :

- ولكننى خشيت أن يحدث هذا بالفعل .

واتجه فى حسم إلى جهاز طبع وتكبير الصور الإيجابية ، ووضع الفيلم فى المكان المخصّص له ، وهو يدير قرص الهاتف ، ويطلب رقمًا فى (نيويورك) ولم يكد الاتصال يتمّ ، حتى قال :

- صباح الخير يا (فريدى) .. إنه أنا .. (زوكرمان) لدى هنا قصة مدعّمة بالصور ، ستثير اهتمامك بشدة .. نعم .. أنا واثق من هذا .. آه .. هل تسأل عن أهميتها ؟ .. أعتقد أنها شديدة الأهمية ، إلى الحد الذى لقيت فيه زوجتى مصرعها بسببها .. نعم .. زوجتى (أنجيل) .. نعم .. نعم .. سأقصّ عليك كل شىء عندما نلتقى .. أما الآن ، فسأطبع الصور وأرسلها إليك على الفور .. صدقنى يا (فريدى) .. هذه القصة لن تضمن لك منصب نائب رئيس تحرير مجلة (تايم) فحسب ، بل وستحصل بفضلها على جائزة (بوليتزر)(*) أيضًا .

(*) جائزة بوليتزر : جائزة سنوية تُمنح لأفضل تحقيق صحفى ، وهى تساوى جائزة الأوسكار فى عالم الصحافة والأدب .

قالها ، وأنهى المحادثة ، وراح يطبع الصور فى منتهى الدقة والإتقان ..

وفى منتهى الحماس أيضًا ..

ففى أعماقه ، كان يدرك أن هذه الصور ستكون وسيلته الوحيدة للثأر ممن قتلوا زوجته ..

أما فى الواقع ، فقد كانت هذه الصور أثمن بكثير ..

لقد كانت تكفى لتحطيم وكر من أشرس أوكار هذا القرن ..

وكر الأفعى ..

* * *

وضع (توماس كلارك) منظاره المقرّب على عينيه ، وهو يراقب منطقة ميناء (نيويورك) ، وتلك الجزيرة عند مدخله ، التى يطل من مركزها تمثال الحرية بحجمه الهائل ، قبل أن يرفع جهاز الاتصال اللاسلكى إلى فمه ، ويقول فى صرامة :

- الهدف لم يظهر بعد .. هل اتخذ الجميع مواقعهم ؟

أجابه (أندريه كارل) و (تيد بروتسون) ، من يخت يحوم حول الجزيرة :

- كل شىء على ما يرام يا (توم) .. سنرصد الهدف فور وصوله .

أما (جيسون تانج) ، فقد أجاب من مكمنه المطلّ على الميناء :

- أنا فى موقعى يا (توم) .

قال له (توماس) فى حزم :

- لا تحاول اصطياده فور وصوله .. لا نريد إفساد الخطة كلها ، لو أخطأت إصابته .

قال (جيسون) فى عصبية :

- بندقيتى المزوّدة بالمنظار المقرّب الفائق ، لم تخطئ إصابة هدفها قط ، طوال عشر سنوات كاملة يا (توم) .

أجابه (توماس) فى حدة :

- أعلم هذا يا (جيس) ، ولكن ذلك الرجل محظوظ أكثر مما ينبغى ، ولا نريد أية أخطاء أو احتمالات هذه المرة .. لقد فقدنا ثلاثة من أفضل رجالنا ، فى مواجهتنا السابقة معه .

أتاه صوت (جيسون) ، وهو يقول :

- وهذا ما يحفزنا على قتله يا (توم) .

أجابه (توماس) :

- كلنا هذا الرجل يا (جيسون) ، ولكن ينبغى أن يتمّ هذا بدقة متناهية ، وطبقًا لخطة لا يتطرّق إليها الفشل .. قل لى .. هل اتخذت موقعك ؟

أجابه (جيسون) على الفور :

- بالطبع يا (توم) .. أنا متمركز على قمة بناية تحت الإنشاء ، تطلّ على الميناء مباشرة ، وبندقيتى مستعدة لنسف رأس ذلك الرجل فور ظهوره .

صاح به (توماس) :

- إياك أن تفعل .. أنتّ هنا للقضاء عليه ، فى حالة إنسحابه فقط .

سأله (جيسون) فى سخط :

- هل تضع أدنى احتمال لنجاته من (أندريه) و (تيد) ؟.

أجابه (توماس) فى حدة :

- لقد نجا أكثر من مرة من قبل ، ولست على استعداد للمخاطرة هذه المرة .. سيسير كل شىء وفقًا للخطة ، وأقسم أن أطلق النار على أوّل من يخرج عنها .

لم يرق هذا القول لرفاقه ، إلا أنهم لاذوا بالصمت ، وكل منهم يسترجع ما قرأه فى ملف (أدهم) ، وما فعله خلال الساعات القليلة الماضية ، و ..

وفجأة ، هتف (توماس) ، عبر جهاز الاتصال اللاسلكى :

- ها هوذا .

شحذ هتافه حواس الجميع دفعة واحدة ، وبخاصة (جيسون) الذى يطلّ على الميناء ، ويبدو له (أدهم) فى وضوح ، وهو يغادر مع (جيهان) السيارة الرياضية ،

ويتجهان نحو زورق كبير ، من تلك الزوارق التى تنقل السائحين إلى جزيرة تمثال الحرية .

وفى انفعال ، قال (جيسون) :

- إننى أراه بكل وضوح من هنا يا (توم) ، ويمكننى أن أنسف رأسه بضغطة واحدة على الزناد .

أجابه (توماس) فى حدة :

- إياك .. دعه يستقل الزورق مع زميلته ، ويذهبان معًا إلى الجزيرة .. لقد اتخذت ما يلزم من الترتيبات لعزلهما هناك ، حيث سيصبح التخلص منهما أكثر سهولة .

وصمت لحظة ، قبل أن يضيف فى حزم :

- وأكثر ضمانًا .

فى نفس اللحظة ، التى نطق فيها عبارته ، كانت (جيهان) تقول لـ (أدهم) فى حيرة :

- قل لى : أليس من الخطورة أن تجول بوجه عار على هذا النحو ، بعد أن وزعت المباحث الفيدرالية نشرة بأوصافك ، فى (نيويورك) كلها ، وشاهد الملايين صورتك على شاشات (التليفزيون) ، فى أثناء معركة المستشفى ؟!

هز رأسه نفيًا فى هدوء ، وهو يجيب :

- مطلقًا يا عزيزتى ، فكل رجل شرطة فى (نيويورك) سيبذل قصارى جهده للبحث عنى فى كل مكان يمكن أن يختبئ فيه رجل هارب من العدالة ، ولكن أحدهم لن يخطر بباله قط أن يبحث عنى هنا ، فى مكان يتوافد عليه مئات السائحين يوميًا ، وعلى هذه الصورة السافرة .

تطلعت إليه لحظة فى دهشة ، قبل أن تبتسم ، قائلة :

- هل يروق لك دائمًا أن تسخر من الآخرين ؟

هز رأسه نفيًا ثانية ، وهو يقول :

- بل يروق لى أن أتعامل مع الطبائع البشرية على نحو مباشر ، وأن أجيد استغلال نقاط ضعفها لصالحى .

ابتسمت فى مرارة ، مغمغمة :

- هذا لن يدهشنى .

ألقى عليها نظرة سريعة ، وهما يستقلان الزورق ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فى حين قالت هى ، فى شىء من العصبية :

- ولكن ، ألا يبدو لك استغلال الضعف البشرى أمرًا يتنافى مع قواعد الأخلاق والشهامة ؟!

ابتسم ، قائلاً :

- من الواضح أنك أسأت فهم المعنى يا زميلتى

العزيزة .. هناك فارق ضخم بين استغلال النوازع البشرية ، واستغلال الضعف البشرى ، فأنا لم أقصد محاولات إغواء أى شخص ، أو العبث بمشاعره وأحاسيسه ، وإنما كنت أشير إلى أوجه الضعف البشرى الطبيعية ، وبالتحديد إلى عدم ثقة معظم الناس بحواسهم الخاصة ، كالسمع والبصر واللمس وغيرها .. ولقد اختبر أحد مقدمى البرامج الهزلية هذا الأمر ، عندما عرض على عدد من الناس صورته الشخصية ، وهو يسألهم بنفسه عما إذا كانوا قد رأوا صاحب الصورة أم لا ، فأكّد تسعة من كل عشرة أنهم لم يروه فى حياتهم قط ، وهم يتطلعون إلى وجهه مباشرة(*)

بدا عليها الاهتمام ، وهى تسأله :

– هل تعنى أنه حتى الذين رأوا صورتك قد لا يمكنهم تعرّفك عند رؤيتك ؟

أشار بسبّابته ، قائلاً :

– بالضبط .. لقد درسنا هذا الأمر فى الإدارة ، وعرضنا شريطًا مسجلاً لذلك البرنامج الهزلى أكثر من عشر مرات ، وتأكدنا من وجود هذا الضعف البشرى بنسبة تزيد على ثمانين فى المائة .

(*) واقعة حقيقية .

سألته فى دهشة :

– هل تدرسون البرامج الهزلية أيضًا ؟

أومأ برأسه إيجاباً ، وهو يقول :

– نحن ندرس كل ما يمكن أن يفيدنا ، ومن أى مصدر كان .

تطلّعت إليه لحظة فى انبهار ، ثم انحنت تستند إلى حاجز الزورق ، وتراقب تمثال الحرية ، الذى يقترب منه الزورق رويدًا رويدًا ، دون أن تدرى أن صورتها كانت تحتل ، فى تلك اللحظة ، مكان الصدارة ، من خلال المنظار المقرّب ، الذى يراقبهما به (تيد) من اليخت ، وهو يقول لـ (توماس) ، عبر جهاز الاتصال اللاسلكى :

– الهدف شديد الوضوح من هنا أيضًا يا (توم) ، و (أندريه) يؤكّد أنه يستطيع إصابته فى منتصف جبهته ، دون أدنى احتمال للخطأ .

أجابه (توماس) فى صرامة :

– اتركه يصل إلى الجزيرة أولاً ، وعندما يرحل الزورق ، سأمنح كلاً منكم الحق فى قتله وقتما يشاء .

ابتسم (تيد) فى جذل ، قائلاً :

– فليكن يا (توم) .

وأنهى الاتصال ، وهو يواصل مراقبة (أدهم) و (جيهان) ، حتى وصل بهما الزورق إلى الجزيرة ، فغادراه مع السائحين الآخرين ، في حين استقله فوج السائحين السابق ، وانطلق بهم الزورق عائدًا إلى الميناء ..

وما إن ابتعد الزورق عن الجزيرة بمسافة كافية ، حتى قال (تيد) عبر جهاز الاتصال اللاسلكي :

ـ رحل الزورق يا (توم) .

انعقد حاجبا (توماس) ، وهو يقول :

ـ فليكن يا (تيد) .. يمكنكم بدء الخطة .

وكانت هذه العبارة إيذانًا بإطلاق كل مشاعر الغضب ، المكبوتة في أعماق القتلة المحترفين الأربعة ، الذين يحاصرون (أدهم) و (جيهان) في جزيرة تمثال الحرية ..

وإيذانًا ببدء أضخم المعارك في حياة رجل المستحيل .

وأكثر عنفًا وشراسة ، و ..

وخطورة .

* * *

انتهى الجزء الثاني بحمد الله تعالى

ويليه الجزء الثالث بإذن الله

(الفخ)

رقم الإيداع : ٣٦١٩

اتحاد القتلة

- كيف ينجو (أدهم صبرى) من محاولة قتله فى سجن (نيويورك) ؟!..
- ما الخطة التى سيتبعها (توماس كلارك) ورفاقه، للتخلص من (أدهم) و (چيهان) ؟!..
- تُرى لمن يكون النصر هذه المرة، لرجل المستحيل أم للاتحاد .. (اتحاد القتلة) ؟!..
- اقرأ التفاصيل المثيرة، وقاتل بعقلك وكيانك مع الرجل .. (رجل المستحيل) ..



العدد القادم : الفخ



د. نبيل فاروق

رجل المستحيل
سلسلة روايات بوليسية للشباب زاخرة بالأحداث المثيرة

107

الثمن فى مصر ٢٠٠
ومايعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم